

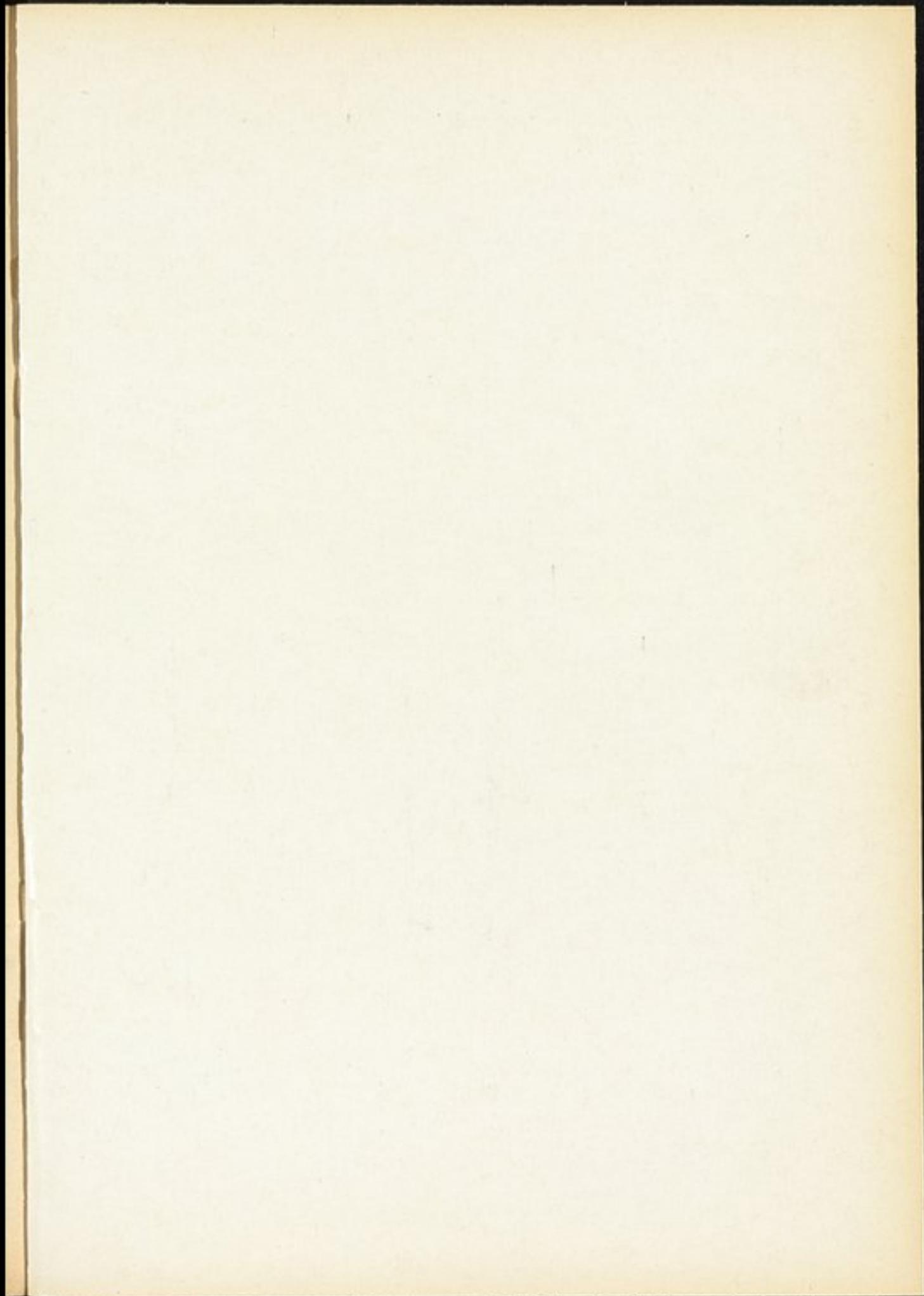
UAR- 6200 al-Judayh,

# دراسات إسلامية

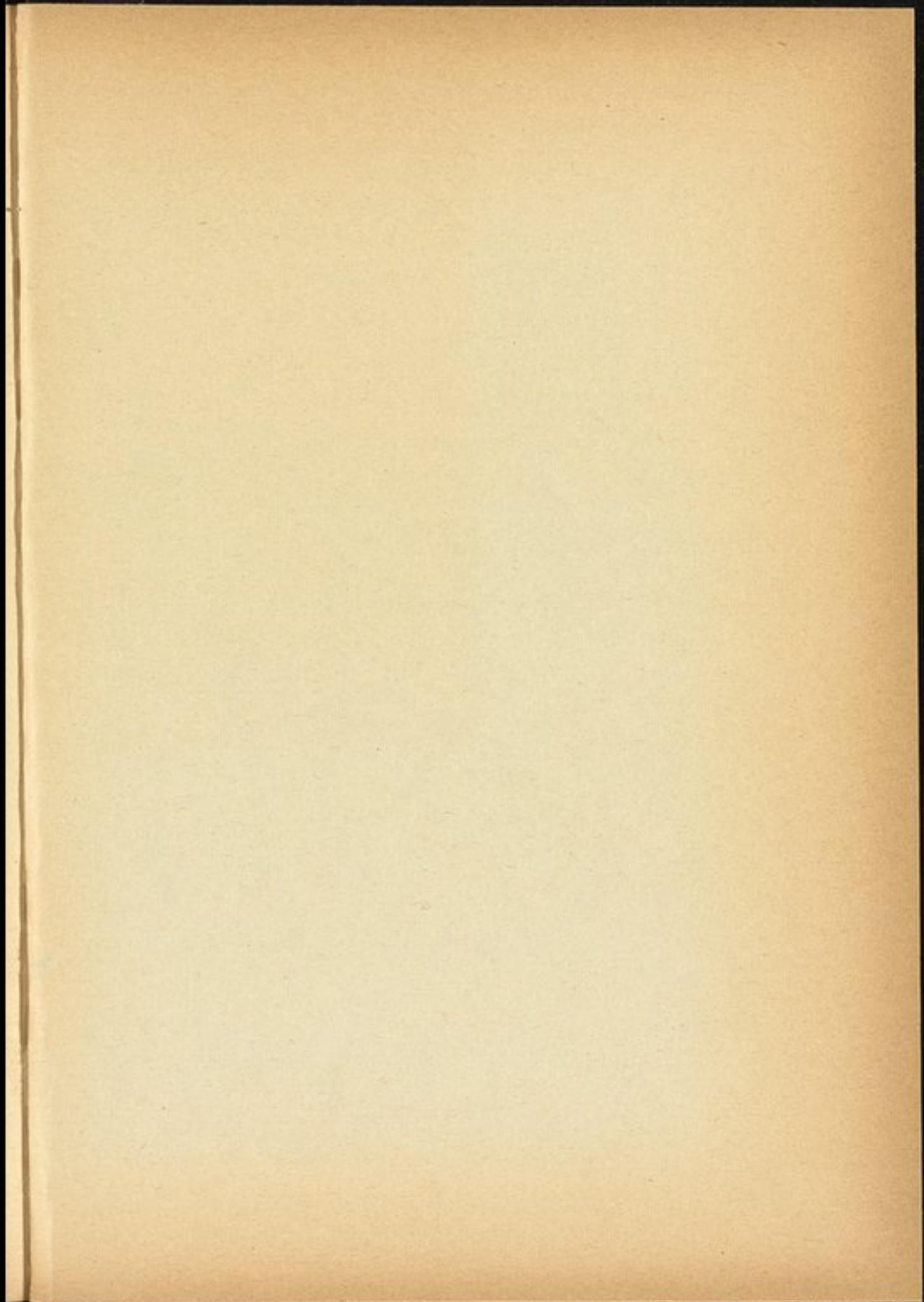
في حكم التشريع وأسرار التنزيل وجماليات  
العقائد و ذخائر التاريخ وروائع العظات

بقلم

محمد عبد الرحمن الجديلي



من هدي الاسلام - ٢



مِزْهَدِي الْأِسْلَامِ

٢

# دَرَاَسَاتُ إِسْلَامِيَّةٍ

فِي حِكْمِ التَّشْرِيعِ وَأَسْرَارِ التَّنْزِيلِ وَجَلَالَاتِ  
الْعَقَائِدِ وَذَخَائِرِ التَّارِيخِ وَرَوَائِعِ الْعِظَمَاتِ

بِقَلَمِ

مُحَمَّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُدَيْلِيِّ

المُدِيرُ الْعَامُّ السَّابِقُ لِلشُّيُوفِ الدِّيْنِيَّةِ  
بِرِيَاسَةِ مَجْلِسِ الوُزَرَاءِ بِالْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ

أَمَامَةُ الشَّرِيقِ بِنُورِ مُحَمَّدٍ

فَالِشُّنْسِ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ شِعْرًا

« الصَّارِي سَعْدَان »

سَبَّوْهُنْ قَرَّرَتْ وَزَارَةَ التَّرْبِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِ تَدْرِيسَ لِهَذِهِ التِّرَاثَاتِ  
لِلطَّلِبَةِ الْعَالَمَةِ السَّانُوِيَّةِ بِمَدَارِسِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ .

BP  
165.7  
.J8  
v. 2

الطبعة الاولى  
كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤

MS  
P. 480

MAR 177

P. 577

## كتب قيمية

في التعريف بهذه المحاضرات والدراسات  
بقلم أئمة الدين وكبار المفكرين

كتاب كريم  
للمصلح الديني الكبير الأستاذ الأكبر المرحوم  
- الشيخ محمد مصطفى المراغي -

حضرة الأستاذ الجديد ،

سمعت بعض محاضراتك في « المذيع » وقرأت بعض ما بعثت به إلي  
فرأيت من الواجب أن أشعرك بما تستحقه هذه المحاضرات من الإعجاب والثناء ،  
وبما تستحقه أنت من الشكر والإطراء ، وقد أحسنت في تخير الموضوعات ،  
وأجدت في تهذيب الأسلوب ، وتجويد العبارات . فخدمت دينك وأمتك ،  
وأرضيت ربك ورسولك ، أسأل الله أن يتولى جزاءك ويدم لك التوفيق .  
والسلام عليكم ورحمة الله .

شيخ الجامع الأزهر  
محمد مصطفى المراغي

## خطاب بارع

بقلم الوزير العالم المرحوم

عبد العزيز محمد (باشا)

وزير الأوقاف الأسبق

الى الاستاذ العبقري النابه عبد الرحمن الجديلي - زاده الله علماً ،  
أحييك تحية المعجب بك ، العارف لفضلك وأدبك ، المستفيد من علمك .  
وبعد ؛ فإذا كان من حق الاحسان أن يقابل بالاحسان ، ومن مقتضى الاتقان  
أن لا يبقى في طي الكتان ، وأن يشاد بهما للحض على الاستزادة منها ،  
والمثابرة عليها - فإنك لعمرك الحق في عملك من أفضل من أحسنوا وأتقنوا ،  
وأجادوا وتفننوا ، تبينت ذلك يقيناً ، عندما أتيت لي أثناء ولايتي لوزارة  
الأوقاف فرصة استماعي لمحاضراتك القيمة البليغة حينما كنت تتلوها عليّ قبل  
إلقائها الى «المدىاع» الذي هو من أعجب مخترعات هذا العصر ، لإبلاغها مسامع  
الدهماء في جميع الأرجاء ، التي بلغتها دعوته ، وانتهت اليها رحلته .

كنت حينما أصغي اليها - وكلي آذان تصغي - لا يخلص الى سمعي ولا  
الى قلبي شيء مما عداها ، فكانت تملك عليّ جميع مشاعري ، وتستأثر بنوافذ  
فطنتي فتتسابق الى وجداني منها المعاني الرشيقة في زخرف الألفاظ العذبة ،  
والأساليب البارعة ، فتتهيج شجوني ، وتفيض شؤوني ، وتثير ذكريات  
مجد غابر ، وعز دائر .

لقد ملكت أيها الأديب قياد الفصاحة وأنت ربيها ، وامتنطيت صهوة

البلاغة وأنت غديتها ؛ فأنتيت في محاضراتك الشيقة من بدائع القول وروائع  
البيان ، في شرح أسرار التنزيل ووصف آثار بعثة الرسول الأكرم (صلوات  
الله عليه) في العالم ، وأحوال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، وكرامات أخلاقهم  
وجلائل مآثرهم ومفاخرهم ، وما حفظه لهم التاريخ من أعمالهم المجيدة ،  
وآثارهم الخالدة - أتيت في شرح ذلك كله ووصفه بما دل على غزارة علمك ،  
وثقوب فهمك ، ودقة فقهك ، ونور بصيرتك .

فله أنت والله صنيعةك ، فقد أهديت أحسن العبر للمعتبرين ، وقدمت أكمل  
المثُل العليا للمحتدين ، وان فيها لموعظة وذكرى «لن كان له قلب أو ألقى  
السمع وهو شهيد» .

ولقد كان في عزمي كما علمت لو طالت مدتي في الوزارة ، أن أقرر طباع  
هذه المحاضرات النفيسة ونشرها للناس كتاباً يقرأ على مر الأيام لما احتوته من  
الفوائد الجمية ، وأن تترجم الى بعض اللغات الاجنبية لتعريف غير المسلمين حقيقة  
الإسلام ومحاسنه وآثاره الفضلى في تهذيب النفوس ، وتطهير الأخلاق ، فإنهم  
منها في أمر مريج - كنت معتماً ذلك ، وأن أكافئك على ما بذلت من جهد  
في نسج بردها على هذا النمط الحسن ، وتنسيق موضوعاتها بهذا الشكل البديع ،  
حتى أتت معجزة في البلاغة والأدب .

ولئن فاتني ما كنت قد قصدت اليه بالتخلي عن الوزارة فأرجو ألا يفوت  
ذلك حضرة صاحب المعالي وزيرها الحاضر فإنه خير من يعرف للعاملين  
أقذارهم .

ولن يفوتني أن أسدي لك عظيم شكري على ما أبديت من فرط غيرتك  
على دينك ، وما أدبت من واجب النصح لإيقاظ قومك ، والله سبحانه من  
وراء ذلك يميز لك مثوبة العاملين المخلصين ، انه ولي الاحسان ، وهو الغفور  
الشكور ...

والسلام عليكم ورحمة الله .

من محبك

عبد العزيز محمد

## كتاب عزيز

لفضيلة الأستاذ العلامة المرحوم

الشيخ عبد المجيد اللبان

شيخ كلية أصول الدين - سابقاً -

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الأستاذ المحترم عبد الرحمن الجديلي . حيّاه الله وحباه .  
أما بعد ، فإني أوليك تحية من يحترم فضلك وأدبك ، ويحل مواهبك  
ويقدر عملك . وإن من خير ما صنعت تلك المواعظ الحسنة التي نشرها على  
العالم مذيع إرشادك ، ودعوتك الحكيمة في محاضرات قيمة ، سمعتها الآذان  
فأصغت إليها ووعتها النفوس فظهرت بها ، وتذكرتها الأبواب فصفت وأخلصت .  
لقد قرأتها فكننت حين سرحت الطرف في نواحيها ، كمن جاب روضاً يانعاً  
بهج المنظر ، اذا سره زوج من أزهاره أغراه منها زوج آخر .  
أعجبني ما شرحت من عقيدة إسلامية حنيفية ، وسيرة شريفة نبوية ،  
وزاد في اعتباطي ما ضمته الى ذلك من قيم المبادئ في شتى المواضيع ، خلقية  
 واجتماعية ، بأسلوب جزل سهل يسر للناس فهمها ، سواء منهم من رقي الى  
رتبة أهل العلم ومن نزل عنها .  
فأصارك أيها الأستاذ بأنك قد سلكت في هدايتك طريق المصلحين ،

وتأسيت بما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : « نحر معاشر الأنبياء أمرنا أن  
نخاطب الناس على قدر عقولهم ، فكنت حكيماً في صنعك ، بثت روح التربية  
الصحيحة في النفوس ، وأشربت بها حب الخير ، وعودتها عمل التقوى وإسداء  
المعروف ، عسى أن تسعد بها أمة تطلب منك المثابرة في هذا العمل المبرور حتى  
تؤدي رسالتك تامة فترضي ربك وتقرّ عين نبيك . وختاماً ندعو الله لك بخير  
ما يرجوه لولده البار ، الوالد الشفيق .

شيخ كلية أصول الدين

عبدالمجيد اللبان

## كلمة بنت الشاطيء

نشرت في جريدة « الاهرام » الغراء

أذاع هذه المحاضرات حضرة الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي من محطة الاذاعة اللاسلكية مندوباً عن وزارة الأوقاف ، فلقيت من الإعجاب وحسن التقدير ، ما دعا الى الاهتمام بطبعتها ، نشرأ للثقافة الدينية ، وتمكيناً من زيادة الانتفاع بهذه الدراسات القيمة ، في حكم التشريع ، وأسرار التنزيل وجلائل العقائد ، وكرائم السير وذخائر التاريخ وروائع العظات .

وليس الأستاذ الجديلي في حاجة الى من يقدمه الى القراء ، فقد قدمته من قبل أبحاثه الرائعة التي أذاعها على القراء في الصحف العربية ، وامتازت بجمال الأسلوب وحرارته وامتلائه ، ودلت على ثروة الأستاذ الثقافية وعلى روح البحث العلمي العميق . وقدمته أيضاً محاضراته التي أذاعها ، فكان لها صدى طيب من فرط الإعجاب وحسن التقدير .

كتب عنها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي : « سمعت بعض محاضراتك في المذيع ، فرأيت من الواجب أن أشعرك بما تستحقه أنت من الشكر والإطراء ، وقد أحسنت في تخير الموضوعات وأجدت في تهذيب الأسلوب وتجويد العبارات فخدمت دينك وأمتك وأرضيت ربك ورسولك » .

وأسلوب المحاضرات أسلوب بليغ سهل ، ولكن في امتلاء ؛ وهو يميل الى الاختصار حيث قد حدد لكل محاضرة جزءاً من الوقت لا تعدوه ولا تقصر

عنه ، على أن هذا الإيجاز أبلغ في العظة ، وأبعد عن الإملال ، وأدعى الى الإصغاء والانتباه .

وللأستاذ الجديلي طريقة في الوعظ ، فهو لا يهجم بمواعظه ولا يلح على النفس بسرد نصائحه ، علماً منه بأن النفس الانسانية كثيراً ما تضيق بالوعظ وتبهرم بالنصيحة ، وهو لذلك يسلك اليها سبيلاً هيناً ، ويدخل نصائحه اليها خلسة حتى لا تمل ولا تبهرم .

ففي حديثه عن ( الرجل المؤمن ) مثلاً يخفي شخصية الواعظ في شخصية رجل مؤمن صادق الإيمان ، معتز به ، يحاوره فتضيق التفكير رقيق الإيمان ؛ ويجد المستمعون قلوبهم مبهورة تتبسع المحاورة في شوق ولهفة ، وتستقبل الموعدة وهي لا تكاد تدري .

ومحاضرات الأستاذ الجديلي عن أبطال الاسلام منهج للثقافة الاسلامية الضرورية ، فإن الكثيرين لا يعرفون ما لا بد من معرفته عن الدعوة الاسلامية وأطوارها وأبطالها .

ونحن نرجو أن يجد الأستاذ الجديلي من حسن تقدير القراء بعض المكافأة على جهوده المشكورة الموفقة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### فاتحة وتعريف

نحمدك اللهم ، لك الخلق والأمر ، ونستخيرك بيدك الخير ،  
ونستلمك الرشد والتوفيق ، ونستكفيك عوادي الأيام ؛ ونرغبُ اليك  
أن تصلي وتسلم على سيدنا ومولانا « محمد » صاحب الشريعة السمحة ، والقول  
الفصل ، والخلق العظيم ؛ اللهم أدبنا بأدبه المحفوف بالعصمة ، وثقفنا بكلماته  
الجوامع في حديثه الشريف : - « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ  
اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ  
يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ (١) » .

( وبعد ) فهذه فصول في التشريع ، والأصول ، والفقه ، والتاريخ ،  
والسير ، والتراجم ، والعظات ، أذعتها تارة مندوباً عن وزارة الأوقاف وتارة  
تلبية للمستمعين ومساهمة في الخير العام . وقد جعل لها ذوو الشأن في  
الإذاعة جزءاً مقسوماً من الوقت لا تعدوه ولا تقصُر عنه ، فجاءت من  
الإيجاز في القالب الذي صنَع لها ... لا كما ينبغي أن تكون من البسط  
والاستقصاء ... على أن النفوس في هذا الباب إلى القصار أميل ، وبالموجز  
أشغف ، ولعلها تكون على القلوب أندى . وجعلت نُصَب عيني أن أستشير

١ - رواه محمد بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما .

شوق المستمعين ، وأن أبلغ نوازع الخير فيهم . وقد أكون - بعون الله -  
قاربت المحز ، ثم أذع بعد هذا لمن شاء أن يكشف عن كنوز الشريعة التي  
أشرت إليها ، وأن يستخرج ذخائر التراث الإسلامي الذي طفت حوله .  
هذا - واستقبل الله هفواتي ، « انه أهل التقوى وأهل المغفرة » .

محمد عبد الرحمن الجديلي  
المدير العام للشئون الدينية  
برياسة مجلس الوزراء سابقاً

## جوامع الكلم النبوية

(البيان الخالد)

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقال :

أيتها الناس . إن لكم معالم فانتهموا إلى معالمكم . وإن  
لكم نهاية فانتهموا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين . أجل قد  
مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه .  
فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبه  
قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات . فوالذي نفس محمد بيده ما بعد  
الموت من مستغتب ، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار .

هذه جوامع الكلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمعت حقائق  
الحياة . ووصفت طريق النجاة . وعلمت الانسان المؤمن أن يكون دائماً  
حذراً يقظاً ، يُعدُّ لكل أمرٍ عدته . يقول - عليه السلام - :

(إن لكم معالم) المعالم جمع معلّم . والمعلّم - الأثر والعلامة التي

يستدل بها على الطريق ، ويقال فلان معلم للخير : دال على الخير . وهذه المعالم بينها لنا الله على لسان نبيه ، وجعلها علامات على الخير ، وأوصافاً للشر . ثم حدد الشريعة تحديداً ، وعرف أحكامها تعريفاً ، وميز الحلال من الحرام ، وفرق بين الحق والباطل . فالرجل المؤمن الحكيم يقف عند الحدود لا يتجاوزها ، وينتهي عند المعالم فلا يهلك نفسه باقتحامها . ( ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ) .

يقول صلى الله عليه وسلم : ( وإن لكم نهايةً فانتبهوا إلى نهايتكم ) النهاية غاية الشيء وآخره - ونهاية الخلق ومصير كل حي إلى الفناء ، ( وإن إلى ربك المنتهى ) . ( كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ) . فالإنسان منته لا محالة !! رضي أم كره ؛ عمر أم اخترم ! فكيف يأمره الحديث بأن ينتهي إلى نهايته ؟ نعم .. يأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينتهي إلى نهاية جديرة وحرية بأن تسمى نهاية ، وهي التي يقدم لها في حياته ودينه الخير ما استطاع ، فاذا نشر المعروف ، وبذل الاحسان ، وعاش أليفاً مألوفاً ، راضياً مرضياً ، يكف الأذى ، ويمنع الشر ، ثم انقضت مدته ، وحانت منيته ، كان منتهياً إلى نهايته الحميدة . نهاية لها عقبها ، وعند الله بشرها . ( ومن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) .

أما أولئك المسرفون على أنفسهم - هؤلاء الذين يحبون العاجلة ، ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ، هؤلاء ينتهون ، ويعبرون الحياة ككلمح البصر ، ولكنهم في الواقع ليست لهم نهاية حرية بأن تسمى نهاية ( يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر - بالحق وبالخير وبالفضيلة - يا ليتني كنت تراباً ) . بعد أن رأى هذا المصير ، وهذه النهاية ....

وان شأن المؤمن اليقظ الحذر الخائف الوجل ، أن يتدبر أمره ، وهو في فسحة من العمر ، وسعة من العيش ، فيعرض ماضيه ومستقبله - يعرض ما مضى من عمره ، وما بقي من أجله ، ثم لا ينقطع عن العمل ، ولا يأمن

الغوائل ، فانه لا يدري .. هل ما قدمه من طاعة وعبادة ، وبر واحسان ،  
وخير معروف ، قد قبله الله ، وكتبه له في صحف الأبرار ؟ أم أن عمله الماضي  
قد حَبِطَ بالرياء ، وبطل بالنفاق ( وَقَدِ مِنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ  
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ) . أولئك الذين حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .  
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ) ...

وهل الباقي له من العمر سينقضي في الأعمال النافعة ، والآثار الحَيِّرة ؟؟  
أم سيجانبه فيه التوفيق والسداد ؟؟ كِلا الأمرين من أسرار الغيب ، مجهولٌ  
مخوفٌ مرهوبٌ . فرسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا ان لا نتخذ بأعمالنا ،  
وان لا نطمئن إلى غَيْرِ الأيام ، وتقلبات الأحداث ، وأن لا نركن الى عمل مضي  
من أعمالنا . فليست العبرة ' إلا بالحوادث . ' يعلمنا - عليه السلام - أن نستزيد دائماً  
من الخير والبر والمعروف ، وأن نستكثر من الأعمال النافعة زمن الصحة ، وان  
ندخر الإحسان والخير زمن السعة ، وان نتابع الجد والدأب والعمل النافع  
زمن الشباب ، وان ننتهز القدرة على الاعمال ، قبل حلول الآجال . فلربما  
انقلب الصحيح سقياً ، وصار الغني فقيراً ، وأصبح العامل عاطلاً . ولا مفر من  
أن تذهب بشاشة الصبأ ، وقوة الشباب ، فيعتاض المرء منها وهنا وضعفاً  
( وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ) .

وربما فاجأ الموت الانسان على غير استعداد ولا ترقب ولا توقع ، وهنا  
الكارثة العظمى ، فانه ليس بعد الموت من مستعتب للآثمين المسرفين ،  
ليس هناك عتب ، ولا يقبل إعتاب من مستعتب ! لقد انتهت حياة الملام  
والاعتذار ، والعتاب والإعتاب ، الذي كان يزيل الشكوى ، ويكشف البلوى ،  
ذهب هذا كله مع ذهاب الحياة الدنيا دار التكليف .

أما بعد الموت ، فلا شيء الا الحساب والجزاء : (يوم تجيد كل نفس ما

عَمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ قَوَدَ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ  
أَمْدًا بَعِيدًا ، وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ .

إنه بعد الموت ، لا يعدو الأمر شيئين : إما شقاءٌ وتعاسةٌ وآلامٌ ،  
وإما سعادةٌ ونعيمٌ وسلامٌ .

## خطبة جامعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

خطب رسول الله ﷺ أصحابه في (تبوك) فقال :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أصدقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَأوثقَ العُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى ، وَخَيْرَ المَلَلِ مِلَّةُ اِبْرَاهِيمَ <sup>(١)</sup> ، وَخَيْرَ السَّنَنِ سَنَةُ (مُحَمَّد) — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأشرفَ الحَدِيثِ ذِكْرُ اللهِ ، وَأحسنَ القَصَصِ هَذَا القُرْآنُ <sup>(٢)</sup> ، وَخَيْرَ الأُمُورِ عَوَازِمُهَا <sup>(٣)</sup> ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا <sup>(٤)</sup> ، وَأشرفَ المَوْتِ مَوْتُ الشَّهْدَاءِ <sup>(٥)</sup> ، وَأعمى العَمَى الضَّلَالَةُ بَعْدَ الهُدَى <sup>(٦)</sup> ، وَاليدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى <sup>(٧)</sup> ، وَمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ

(١) يقول القرآن الكريم : « قل اني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » .

(٢) يقول القرآن الكريم : ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ) .

(٣) العوازم : القواطع وهي الأمور التي لا يتردد فيها الانسان .

(٤) المحداثات : الأمور التي لا تستند الى أصل شرعي ، ولا الى هدي ديني .

(٥) لأنهم يرخصون أنفسهم في سبيل الحق .

(٦) يقول القرآن الكريم : ( ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ) .

(٧) اليد التي تمتد بالعطاء ، خير واشرف من التي تبسط للأخذ !!

مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهِى . وَشَرُّ الْمَعْذِرَةِ حِينَ يَحْضُرُ الْمَوْتُ <sup>(١)</sup> وَشَرُّ النَّدَامَةِ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ <sup>(٢)</sup> . وَمِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذَّابُ ، وَخَيْرُ الْغِنَى غِنَى  
 النَّفْسِ <sup>(٣)</sup> ، وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَخَيْرُ مَا وَقَرَ فِي  
 الْقُلُوبِ الْيَقِينُ <sup>(٤)</sup> ، وَالنِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالغُلُولُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ <sup>(٥)</sup>  
 وَالْحُمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ ، وَشَرُّ الْمَأْكُلِ مَالُ الْيَتِيمِ <sup>(٦)</sup> ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ  
 بَعِيرَهُ ، وَمَلَاكَ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ <sup>(٧)</sup> وَسَبَابُ الْمُؤْمِنِ فَسُوقُ ، وَقِتَالُهُ  
 كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ <sup>(٨)</sup> وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ ، وَمَنْ  
 يَعْفُ يُعْفُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ يَكْظِمِ الْغَيْظَ يَأْجُرْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَصْبِرِ  
 عَلَى الرِّزْيَةِ يَعْوِضَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يَعْذِبْهُ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 بَعْدَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ : — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ،  
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ... »

(١) لأن وقت العذر قد مضى ، وعند الموت لا تقبل توبة ولا اعتذار !!

(٢) لأن الندم لا يرجع الانسان الى الدنيا .

(٣) لأن فيه القناعة ، والرضا ، والكف عما في ايدي الناس ، وهنا تتحقق السعادة كل السعادة .

(٤) لأن الشكوك والريب ، تنكد حياة المرء ، وتبدد الطمأنينة .

(٥) الغلول : اخذ شيء من الغنائم خفية قبل التقسيم .

(٦) يقول القرآن الكريم : ( ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، انما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيراً ) .

(٧) انما قوام الأعمال ونتائجها في نجاح خواتيمها ، فرب عمل حسن بدءاً ، وساء خاتمة

(٨) أكل لحم الانسان الحي : كناية عن اغتيابه وذمه .

هذا كلام ضبطه أرجح عقل ، وصدر عن أشرف نفس ، وهو على استواء واحد في جملته وتفصيله . كل جملة حكمة وكل حكمة نجاة في الدنيا والآخرة ...

\*\*\*

وقوله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ، علمنا وأرانا انه ليس فيما يتحدث به المتحدثون ، وينمقهُ الكاتبون ، ويقررهُ العلماء ويبرمه ثم ينقضه الفلاسفة - ليس أصدق تأويلاً ، ولا أصح حكا ، ولا أعدل قضاء ، ولا أبر بالانسانية ، ولا أسعد للمجتمعات ، من تلك الآيات البيّنات التي أنزلت من لدن حكيم عليم ، فأقرأوها بتؤدة ، وتروّ وتدبر وحضور قلب ، وإطالة فكر ، تروا عجائب لا تنفذ ...

اما قراءة القرآن في ذهول وغفلة ، واتخاذة لمجرد التمام ، لا للعمل بما فيه ، فأخوف الخوف أن يحق على فعل ذلك قوله تعالى ( واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ) ، وفي الحديث الشريف : ( كم من قارئ للقرآن ، والقرآن يلعنه ! ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « وأوثق العرى كلمة التقوى » اشارة قوية الى أن منابع السعادة هي في الخلق القوي - لأن ( التقوى ) كلمة جامعة ، تنتهي كل معانيها الى ( الخلق الثابت ) الخلق الذي لا يتغير بتغير الأحوال ، ولا باختلاف الأزمنة والأمكنة ، ومتى ثبتت ملكة التقوى ، تراءى للمتقي جلال ربه ، وبرهان ربه ، عند كل عمل من الأعمال التي يقدم عليها ، فيسارع الى وقاية نفسه من الهلاك ، ومن سخط الله . فالتقوى من الوقاية .

الخلق الثابت - أو التقوى - تكف الانسان عن الشر والإثم غائباً عن عين الناس ، أو حاضراً أمام الناس . الخلق الثابت ، أو التقوى ، يصدر عنه الخير دائماً من الانسان ، راضياً أو ساخطاً ، غنياً أو فقيراً ، في دست المنصب أم بعيداً

عن المناصب . وإنما يُكوّن التقوى ويكوّن الخلق الثابت ، الخوف من الله ،  
ومراقبته في السر والعلن ...

لقد سَعِدَتْ أُمَّهُ جَعَلَتْ هَذِهِ الْحِكْمَ النَّبَوِيَّةَ دَسْتُوراً لَهَا ، وَمَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ  
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ .

## معنى الحرية الشخصية

يروى ابن المبارك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :

«إنَّ قوماً ركبوا سفينةً في البحر ، فاقْتسموا ، فصار لكلُّ رجلٍ منهم موضعٌ ، فنقرَ رجلٌ منهم موضعَهُ بفأسٍ ، فقالوا له: ما تصنع ؟ فقال: هو مكاني أصنع فيه ما شئت . فان أخذوا على يديه نجاً ونَجَوْا ، وإن تركوه هَلَكَ وهلكوا» .

هدى "نبوي" بلغ الغاية من الإحكام والتصوير ، يوضح ويحدد حق الفرد ومعنى حرّيته ، وحقّ المجتمع ومقدار مسؤوليته ، فالحرية الفردية كفلها العقل والشرع لكل آدمي ، لأن سلبها إهدار للكرامة الآدمية ، ولكن العقل والشرع أيضاً قد جعلاً المجتمع مسؤولاً عن شذوذ الافراد ، وعن جموح الحريات ، فاذا لم يبادر المجتمع الى مكافحة الشرور والأهواء والنزوات ، ولم يضرب على أيدي العابثين بسلامته وأمنه وأرواحه ، كان هذا المجتمع آثماً ، وكان على خطر أن يهلك كله ، أفرادُه وجماعاته ، كركاب السفينة الذين تركوا عابثاً يعبث في مكانه ، فيحطم ركناً من أركانها ، فتهدوي براكبيها الى الاعماق .

اننا في خضم الحياة ، نكون مجتمعاً ، ونؤلف جماعة ، كركاب السفينة ،

ولكل "منا عمل وأثر" في تنظيم سيرها ، وصيانة أجزائها ، والحرص على سلامة كل ناحية منها . فاذا نحن وزعنا العمل ، وحددنا المواضع ، واقتسمنا الأمكنة ، فليس معنى ذلك ان نُغفِل نظام السفينة العام ، وان يستبد كل بموضعه يفعل فيه مايشاء بحجة انه مكانه هو ولا شأن للآخرين به ، ليس اختصاص "كل" بمكانه ، وتعريفه بعمله ، يبيح له أن يذهل فيُغفِل حقوق سائر الافراد ، ويغضي عن بقية الأماكن ، فيعمد في نزوة من نزواته الى لوح من ألواح السفينة ، يحدث فيه "خرقاً" ، أو يشق "شقاً" ، اعتماداً وتشبثاً بأنه مكانه هو ولا حق لغيره فيه . لا . لا . انه مكانه ومكان الآخرين جميعاً ، وهو حر في أداء عمله على مايراه مصلحةً وفائدةً ، إلا اذا تنافر وتعارض مع عمل الجميع . عندئذ يصبح الكل مطالباً بالأخذ على يد العايب ، وتدارك شذوذه وشروره حتى لا تتحطم السفينة ، وتندفع المياه فيها ، فيهلك الفرد ، ويهلك أهل السفينة جميعاً .

الحرية الفردية مكفولة "مصونة مرعية" ، الا أن "تمس حرية الآخرين ، وإلا" أن تصيب من بناء المجتمع ، وإلا" أن تجمع غير مقيدة بقيد ، ولا محدودة بحدود .

هذا المثل الذي صوره الحديث الشريف ، يوضح الأخطار المحققة من كل حرية عابثة آتمة ، ويرينا كيف يعم الشر المجتمع كله ، من أثم ومن لم يأثم ، وإن علاقة كل فرد بمجتمعه علاقة "وثيقة قوية" ، فمن شأن المجتمع الحي اليقظ أن يبادر الى وقاية نفسه من عمل كل فرد جامع ، وإلا فقد حق الهلاك على المجتمع وعلى الفرد . يقول عزت آياته : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) فهذا خطاب للأمة جمعاء أن تتنبه الى الأخطار التي تُستهدف لها بفعل بعض الافراد وكم من أمم فني أبرياؤها نتيجة لنزوات أكبر مجرميها الذين لم يجدوا منكرأ من أمتهم على مآثمهم .

ان الاسلام يحافظ على الحرية الشخصية ، وعلى الاستقلال الفكري ، ولكن  
في حدود حق الجماعة ، وفي كنف الشعور بأن حياة الفرد قائمة بحياة  
الجماعة .

ألا إن هذا الحديث الشريف لينادي بأن الحرية لا يستمتع بها أحد إلا  
إذا راعى قيودها ، ووقف عند حدودها . والحر هو من تحرر من أهوائه ،  
وعاش لنفسه ولمجتمعه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم

يبين اسباب ضعف الامم وانحلالها

روى أبو داود والبيهقي ، في دلائل النبوة عن ثوبان - مولى النبي ﷺ -  
أنه قال :

« يُوشِكُ الْأُمَّمُ أَنْ تَدَاعِيَ عَلَيْكُمْ ، كَمَا تَدَاعَى الْآكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا . فَقَالَ قَائِلٌ : — وَمَنْ قَلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ !! وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ . قَالَ قَائِلٌ : — وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا ، وَرَاهَةُ الْمَوْتِ . »

في كل وقت ، وحيث يجتمع الناس ، وحيث يسمُرُ الأصدقاء ، لن نرى ولن نسمع الا شاكياً ساخطاً ناقماً . ( فلان ) يصف ما يجيق بالأمم الاسلامية من ظلم وبغي وعدوان ، ( وفلان ) يشفق مما تتمخض عنه الأحداث من ضياع أوطان ، وانتقاص حقوق ، واذلال بلاد ! ( وفلان ) يصوّر في مرارة وحزن مظاهر الضعف ، وعلامات الانحلال ، والكل يتساءل عن أصل هذا البلاء ، ويتحرّق للعشور على الدواء ؟! وفي الحق لقد صدق القائل :

دواؤك فيك وما تشعر      ودواؤك منك وما تبصر !  
وان هذا الحديث الشريف ليصف المرض الاجتماعي الذي أصاب الأمم

الاسلامية ، وبيّن أعراضه وآثاره ، ثم يشير الى طرائق العلاج ، ووسائل الشفاء . . .

اما المرض الاجتماعي ، فالتقاطع والتخاذل والاختلاف ! بيّن هذا ما رواه البخاري عن ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : « لا تختلفوا ، فان من كان فرداً أنه وحدة قائمة بذاتها ، لا واجب عليه لمجتمعه . وفوق هذا فله كل حق على المجتمع !! ولقد يتضخم الشعور بالذاتية ، فلا يعود الفرد يشعر بمجتمعه ولا بالآله وآماله ، فتقطع الروابط ، وتنبت الصلات ، وتنحل العرى ، بين الفرد وبين أسرته ، وبينه وبين ذوي رحمه ، وبينه وبين أفراد أمته ، وعند ذلك يصبح الأفراد كما وصفهم الحديث غناء كغناء السيل : كالورق الجاف المتساقط من فوق الأشجار ، ورق بال ذابل ، لا قوام له ، ولا حياة فيه ، ولا فائدة منه ! ورق تذروه الرياح ، غناء يدفعه السيل ، وقد كان من الشجرة قبل ذلك جزءاً فيها يستمد وجوده وحياته منها ويفيض من حياته عليها يكملها ويزينها ويزدان بها ! يأخذ غذاءه منها ، ويهبها غذاءها . . .

هكذا يصف الحديث الأمة الكثيرة العدد ، المقطعة الأوصال ، المبددة القوى ، الشتيتة الآراء والمذاهب . . .

\*\*\*

ويقول الحديث : إن شأن هذا المجتمع الذي تمشت فيه الفرقة حتى قطعت أوصاله - شأنه أن يُغريّ الأمم الأخرى به . وأن يهيبه لها السبيل للانقراض عليه . . . فهي تتداعى ، يدعو بعضها بعضاً الى الفتك به والتهامه ، كما يدعو الجوع بعضهم بعضاً الى قصعة ملأى بالطعام ! ولعمر الحق اذا تهيأ الطعام الشهي لجوع جشعين ، فماذا يبقى الا النهش والازدراد !

\*\*\*

يقرر الحديث الشريف أن شر ما يصيب الامم الاختلاف والفرقة ، وأنها يذهبان بهيبة الأمم ، وبكرامة الشعوب . ومنشأ كل فرقة ، ومبعث كل اختلاف

الأثرة ' وحبّ الذات ! فاذا ما استشرى داء الأثرة ، وتغلغل في قلب الفرد قذف الله فيه الوهن ؛ والوهن هو الافراط في 'حبّ الدنيا ! وانه ليدعو الى التكالب والتناحر على جمع الحطام الفاني ، فينشأ الحرص والبخل ، ويُقدّر متاع الدنيا تقديراً خاطئاً لا تتسع له الحياة ، واذا ترك الانسان نفسه للانانية أخذت بالسمع والبصر والفؤاد ، فلن يرى المرء غير نفسه ، ولن يستمع إلاّ الى نفسه ولن يفكر الا في نفسه ! حتى اذا ما عرضت له الحقيقة الكبرى ، الحقيقة التي لا مفر منها ، غاية كل حي ، وهي ( الموت ) أعرض وتولى ، واستبعد حلول الأجل ثم لاذ بالجن والضعف والنفاق حرصاً على الحياة ، فيعيش ميتاً بين الاحياء ! وصدق القائل : - الناس من خوف الموت في الموت .

\*\*\*

انما سعد المجتمع يوم كان الفرد لأمتة لا لنفسه ، وللمجتمع لا لذاته ، هناك انبعثت الشجاعة الاسلامية ، والتفدية بالنفس في سبيل الحق . فليرجع كل الى نفسه يسائلها قبل ان يحرك لسانه بالسخط على المجتمع ، والتشكي من الانحلال والضعف - يسائل نفسه ، هل هو 'يحب' لأخيه ما يحب لنفسه ؟ وهل هو يألم لأخيه كما يألم لنفسه ؟ وهل هو يشعر بشعور جماعته ، وبأنه خلية من خلايا المجتمع 'يحييها ويحييها بها ؟ وأنه اذا مرض عضو من أعضاء المجتمع مرض الجسم كله ؟ إن كان كذلك ، فليعلم أن المجتمع يتمشى فيه البرء ، وإلاّ فليعالج الشاكي نفسه قبل أن يتسخط ويتشكى ويتحسر ، وقبل أن يرفع الصوت عالياً باللوم والعتاب .

## الحج مصحة روحية

كنت استودع الله عزيزاً يحج في الوافين على بيت الله الحرام . فلما كنت بالمرفاً ، واستبان طريقُ جُدة ، وآذنتنا الباخرة بالاقلاع ، طافت بي وجرت في نفسي تلك الخواطر :

لعل فريضة الحج التي أحكم الله شرعتها في السنة الخامسة من الهجرة ، وُجعت دعامة من الدعائم التي بُني عليها الاسلام - لعلها أبلغ الفرائض جميعها في توجيه النفوس الى الله وحده ، وتخليصها من شوائب الاشرار ، وتطهيرها من مآثم الحياة ، ومبازل الشهوات ، ومزالق الكبرياء . ثم لعل الحج وفعاله وشعائره ومناسكه هي الدروس الإلهية العالية التي تكشف للمرء عن غروره ، وتنهيه من حدته ، وتكبح من جموحه ، وتغسل من أدرانته ، وتقوم من انحرافه ، وتذكره بحقيقة أمره : يوم وُلد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حياً .

ولعل ذلك اليوم المشهود «يوم عرفات» وقد سالت الأودية بأعناق المطي ، وتغطى أديم الأرض ببني الانسان من آلاف الزمر في لباس مجرد ، وشعر مغبر ، ورؤوس مكشوفة ، ووجوه مكدودة ، من شتى الاجناس ، واخلاط الامم ، يجمعهم على اختلافهم التوحيد ، وهم يهتفون : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة والملك لك ، لا شريك لك . لعل ذلك المظهر أبلغ دروس الحياة في المساواة ، وأشدّها بياناً للتحمة الأخوة التي ترجع الناس إخواناً ، وتلقي في وجدانهم قول نبيهم - عليه السلام - في موقف عرفه على ما رواه

احمد من حديث أبي نضرة : أيها الناس . ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ،  
ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى . أبلتغت ؟  
قالوا : أبلغ رسول الله ﷺ .

لقد كانت تلك الفِكر يزدهم بها رأسي ، وأنا بالمرفا ، والباخرة تؤذني  
بالرحيل ، وقد علا التكبير ، وتصاعد ذكر الله ، وارتجت الأرجاء بالتوحيد ،  
ووجد الواجد ، وهام الهائم ، وسمت بالنفوس المعاني الدينية في 'علاها سمواً لا  
يدركه إلا من تذوقه ، وكان حاضره ، «وما راء كمن سمعا» . عند ذلك لاح لي  
(شيخ) مخني الظهر من أعباء السنين ، طلق الوجه من نور اليقين ، لعينه بريق  
أخاذ يسلطه عليك ، فاذا أنت مأخوذ بتلك الشخصية العجيبة . قال لي هذا  
الشيخ وهو يرسل طرفه في جمهور الحجاج : رأيت كيف يسرع الفارون من  
جيوش الذنوب والآثام الى ساحة مولاهم؟ قلت : زدني إفصاحاً ، زادك الله صلاحاً .  
قال : استمع الى قصة الحج من اولها الى منتهاها :

إن الله - جلت حكمته - يشرع من العبادة ما يصلح النفوس ، ويداوي  
الأخلاق ، وما يتسق مع مدارك بني الانسان ، وعقلهم المحدود .

ولقد ألفت الناس ، اذا نزلت بهم العوادي ، أو حل بهم قحط أو جذب ، أن  
يجأروا بالشكوى الى ملوكهم ، ليردوا غارة الأعداء عنهم بعد أن عجزوا عن  
مقاومتهم ، فاذا ضجت الشكوى ، ساروا الى حامي الملوك ضارعين صارخين ،  
راجين دفع الأذى ، وكشف الهم ، ودفع الأعداء ، ولقد تراهم شعثاً غبراً على  
على مقدار ما نزلت بهم المحن ، وفدحتهم الخطوب ، ثم ترى مشاهد الضراعة  
والطاعة بادية عليهم ، ومظاهر الخوف والاجلال تشتملهم . فكلما اقتربوا من  
رحاب الملوك اكبروا الارض ، وعظموا النبات ، واحتموا الحيوان والشجر .  
حتى اذا لاحت ديار الملك ومنازله شرعوا يطوفون حولها ، ويتمسحون  
بأذيالها ، ويترددون على جنباتها رجاء ان يؤذن لهم ، وإن يستمع لشكايتهم .

فاذا رأى المليك صدق ولائهم وصحة ضراعتهم اذن لهم بالثول في الحضرة ،  
وشرفهم بالاقتراب من السدة ، واذن لهم ان يبثوا ما لديهم . فلا يزالون يثنون  
عليه بما هو أهله ، ويفصلون آلامهم ، ويستمنحون النصر على أعدائهم ، فيتكرم  
المليك ويعدم النصر والفوز وردّ العوادي ، ودفع الاذى ، وما اعظمها منه  
اذا ما تلتطف المليك فأذن لهم بتقبيل يده - لقد يرونها مكرمة اشرف مكرمة .  
ثم تتوالى تعطفات المليك فيذكرهم بأيامه مع آبائهم ، وما أثره في اسلافهم لان  
هؤلاء الآباء والاسلاف كانوا صادقي الولاة ، ظاهري العبودية ، دائمي الطاعة ، لهم  
ايام معلومات ، وماثر معروفات ، وأحداث تاريخية مذكورات ، فاذا ما ادركوا  
ما كان عليه آباؤهم ، انطلقوا يفعلون فعالمهم ، ويجرون على سننهم ، ويستعيدون  
ذكراهم ، ويقومون بشعائرهم ، وأن في تمثيلهم بآبائهم لشعاراً للولاة الصادق  
والطاعة الكاملة . عند ذلك ، ينزلهم ملكهم دار ضيافته ، ويجري عليهم  
أطياب أرزاقه ، ويأمرهم أن يزيلوا أسباب الروح فيفسلوا أدرانهم ، ويصلحوا  
ما أفسده السفر الصارخ ، والرحلة المروعة ، استعداداً لتلقي الخلع السامية  
الملكية . فاذا ازدانوا بعباءة مولاهم ، دفعوا بالباب يستنجزون وعده ، ويطلبون  
الامان الشامل ، وصرف الاهوال والارزاء ، فيستجيب لهم ملكهم ، أن قد صرفت  
الاعداء عنكم ، ودفعت الجور عن منازلكم ، فارجعوا دياركم آمنين مطمئنين . عند  
ذلك يتملكهم البشر والفرح والابتهاج ، فلا يلبثون أن يعودوا الى سدة المليك  
شاكرين مثنين ، طيبة نفوسهم ، مستأذنين في العودة ، وليس فيهم الانعيم البال ،  
وصدق الاخلاص ، وطهارة الوجدان وبراءة النفس .

قال الشيخ : فتتظر واعتبر اذ جعل الله مثلاً من انفسهم ومن ملوكهم - والله  
المثل الاعلى - . لقد خصص الله بقعة من الارض وكرمها ونسبها اليه ، تشریفاً  
لها . وذلك البيت هو الكعبة - بيت الله الحرام - والله يتسامى عن البيوت ،  
ويتعالى عن الحلول ، وانما كانت الحكمة في ذلك صلاح العباد ، بتوحيد وجهتهم ،  
وإفراد معنى القداسة لهم . وقد ورد في الآثار أن الحجر الاسود في ركن من

اركان الكعبة يمين الله، وذلك رمز من الرموز - فالله يجلب عن الاشباه والنظائر ،  
وعن الجوارح .

قال الشيخ : ولقد ترى الانسان في تلك الحياة لا يزال يحالد نوازع الشر ،  
ويقاوم دواعي الشهوات ، ولقد يعجز في هذا النضال فيسقطه الاعياء . فرأى  
المشرع الاسلامي من الرحمة بالناس أن يُجيب دوافع الخير فيهم ، وأن يبعث  
روح الأمل عندهم بالتوبة النصوح ، وجعل لها موسماً هو موسم الحج . وإن  
شئت فقل ان هذا الحج جعل مصححة للنفوس من الاثانية والفردية ،  
وُجعل مدرسة اجتماعية ترى الناس كيف تجمعهم الجماعات ، وكيف يتلاقون  
جميعاً في أصل خلقتهم فلا طبقات ، ولا فوارق ، ولا جاه ولا سلطان .

لقد جعل الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . يذهبون استجابة  
للرحيم الرؤوف غافر الذنب قابل التوب ، يذهبون معترفين بذل العبودية ،  
ذاكرين قوله تعالى :

« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ،  
إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ، وأنبيوا الى ربكم  
وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول  
نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين . أو  
تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب  
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين » .

يذهبون ضارعين الى الله محترمين حمى ذلك البيت العتيق ، لا يقطعون نبتة  
ولا يقتلعون شجره ولا يقتلون حيوانه ولا يصيدون أطياره ، حتى اذا بلغوا المنزل

الممجد طافوا حوله طواف اللاجيء المستغيث ومسحوا بأستاره مسح المستجير ، ثم قبلوا الحجر المبارك - الذي يسمى بين الله - تعالى الله عن التشبيه . يطبعون بشفاهم قبلة الطاعة وهم يعتقدون أنه حجر لا يضر ولا ينفع وإنما النافع الضار هو الله الواحد القهار ، كما أدرك هذا المعنى الرجل المؤمن حقاً الذي أخذ الدين من فم صاحبه عمر بن الخطاب ، اذ يقول : «إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع . ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» . ثم ينصرف الحجيج بعد ذلك الى اعمالٍ ومناسكٍ وشعائرٍ كلها كان يفعلها الآباء والاسلاف كالخليل ابراهيم وابنه اسماعيل ، كانوا يفعلونها تقرباً الى الله وحده ، وقياماً بحق العبودية ، واطاعة لما أمر به كالسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، والمبيت بمزدلفة والنزول بمنى ، ورمي الجمار . وما اروع ذكرى رمي الجمار التي ألهمتنى حكمتها محنة ابراهيم خليل الله .

قال الشيخ : واستمع الى ما اقول : ان ابراهيم خليل الله قد امتحنت طاعته لله واذعانه لامر ربه امتحاناً قاسياً ، بل هو البلاء العظيم ، كما قال الكتاب الكريم - امتحن اذ امره الله أن يذبح ولده ، وفلذة كبده ، فامثل أمر ربه ، وبادر الى تحقيق طاعته ، وذلك اقصى ما يصل اليه معنى العبودية ، وأصدق ما ينتهي اليه الايمان ، وهنا مجال لدسيسة شيطانية :

وللشيطان ماأرب تدقُّ وتخفى وهو الذي يحكي لنا القرآن حكايته وقوله : « فبا أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ثم لا تجد أكثرهم شاكرين » - فمجال الدسيسة هنا فسيح ، وخطب ابراهيم جليل ، فليس غريباً ان يتعرض إبليس في طريق ابراهيم وهو سائر لذبح ولده ، وأن يتخيل ثم يخال ، ولكن معاذ الله ان ينشئ ابراهيم عن قصده ، فابراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً . كان عقيدةً مجسمة ، لم يبق في قلبه ما يصرفه عن ربه حتى لقد استهان بالنار وألقي فيها ولم يرجع عن عقيدته !! فاذا ما تمثل له إبليس وهو ذاهب لذبح ولده

طمعاً في ان يصرفه هول الفاجعة فليس بيدعاً أن ابراهيم يحصب بالحجارة هذا  
المثال الشيطاني اذا عرض له وان يرحمه بالجيار - قطيعة له ولما يسول به ،  
وإعلاناً للحرب عليه وعلى حزبه ،حزب الشيطان «ألا إن حزب الشيطان هم  
الخاسرون» .

ألا فليذكر الحاج وهو يرمي الجمار انه يحصب الشيطان ، وانه في طاعته  
هذه قد قطع ما بينه وبين ابليس وقذف به الى حيث ينبذ العدو ويحتقر .

قال الشيخ : ولقد يسمي بعضهم السعي والرمي والوقوف أفعالاً تعبدية  
فيظن الأغرار أنها خالية من الحكمة التشريعية - والحق - أن تلك الأفعال  
مليئة بأسرار الاخلاص لله وحده ، مليئة بمعاني الطاعة ، مكننة لها في النفوس ،  
وأن من شأن المؤمن الصادق أن يُذعن للأمر الإلهي خضوعاً وتسليماً ، وإن لم  
تعلق مداركه بشمرته العاجلة ، نعم من شأنه ان يُعظم شعائر الله ويُعظم  
حرمات الله فانها من تقوى القلوب وعلى ما في القلوب المعول .

قال الشيخ : فاذا ما انتهى الحجيج من القيام بتلك الطاعات التي قام بها  
ابراهيم واسماعيل والحنفاء من بعده ، وقد كان ابراهيم إماماً ، قال له تعالى :  
«اني جاعلك للناس إماماً» - اذ ما انتهى الحجيج من الاقتداء بابراهيم وتذكر  
سوائف مآثره - أنزله الله تعالى دار ضيافته بوادي منى يزيلون شعثهم ،  
ويرتدون ثيابهم ويتطيبون ، ويحل العيد وتمتلىء الاودية بالضحايا إطعاماً للفقراء  
واختباراً لسماحة الاغنياء . وقد حرم صوم يوم العيد لأنه إعراض عن ضيافة  
الله . ولا تزال قلوب الحجاج متعلقة بوعد الله أن يجيرهم من عدوان آثامهم ،  
وان يصلح ما افسدته الذنوب من نفوسهم فيعودوا طوافين بالبيت طلباً  
للاحسان ، واستنجازاً لوعد الرحمن ، ورغبة في الطمانينة من نوازع الشر ، هنا  
يستجاب لهم فضلاً من الله ونعمة ، ويؤذن لهم بعودتهم ، وقد شملهم الفرح  
الأكبر بغفران ذنوبهم وبراءة انفسهم وطهر شمائلهم ، ينعطفون بعد إلى الطواف ،

طواف الوداع، شكر الله على جلائل نعمه، واشادةً برحمته التي وسعت كل شيء.

قال الشيخ :

هذه قصة الحج وإنما لأحسن القصص ، إصلاحاً للنفوس ، واستمناًحاً للغفران ، واستذكراً لعظماء النفوس ، أمثال ابراهيم الخليل ، واستجماعاً للخيرات من منابعها ، واصول شرائعها من حيث تنزل الوحي على محمد - عليه السلام - لإنقاذ الانسانية وإسعاد بني الانسان .

انها قصة الحج ، اختبارٌ حكيمٌ للمساواة ، وجامعةٌ اسلاميةٌ وثيقة العرى ، وتمكينٌ للاخوة الانسانية ، وتثبيتٌ للتقوى ، والتقوى هي لباب الشريعة ، وغاية الغايات من العبادات . واذكر قوله تعالى فيما يذبح من الهدى في الحج :  
( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ) .



وهنا انتهى الشيخ من قوله ثم غاب عني في سواد الحجيج ، فلم أظفر به ...

أترى ... هذا الشيخ ... كان رسول الالهام ! وكانت مقالته حكمة

الملمهين ؟ ...

## من وحي الحج ومن إلهام الزيارة

١

هذا الحديث خاص ببعض ما أوحى به رحلتنا الى الحج ، وبعض ما ألهمتنا إياه زيارتنا للمدينة المنورة ، وإنه لحديث هتفت به نفوسنا من فرط ما تأثرت ، وتجاوبت به أرواحنا من فيض ما نعمت في مراحل الحج مرحلة "مرحلة" ، وفي منازل المناسك مشهداً مشهداً . ولسنا نعدو - عليم الله - وصف شعورنا ، وقد لا نستطيع وصف هذا الشعور ، إذ هو وميض ، أو إشراق ، أو صفاء ليس مبعثه الأرض وإنما مبعثه السماء ، مبعثه الله مقلب القلوب ، القائم على كل نفس ، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ...

\*\*\*

الحج علاج روحي ، يُصرف أزمات النفوس ، ويطارد أوهام الحياة ، وينقل الانسان الى جو كله الراحة النفسية ، والطمأنينة القلبية ، حيث تبدو

أمام بصيرته الحقيقة الانسانية عارية صريحة واضحة ..: فلا لبس ولا ابهام .  
أو ليس الانسان يولد عارياً ، ويرتحل عن هذه الدنيا عارياً ؟ وان بني آدم  
سواسية في ذلك ، كلهم 'يطل' على الدنيا عارياً ! وكلهم ينزل حفرته عارياً !!  
كلهم 'يطل' على الدنيا فقيراً . فما بال تلك الاوهام وقد سيطرت على الانسان  
وهو يعبر تلك الحياة ؟ ما باله يقوّم الاشياء اكثر من قيمتها ويتوهمها على غير  
حقيقتها ، فيجلب لنفسه الشقاء الدائم ، والعيش الأنكد .

إنّ الحياةَ اللاهيةَ الصاخبةَ العابثةَ لاتدع للنفس سبيلاً الى الفكر ولا الى  
التأمل . لكنّ الحياةَ في الارض المقدسة وبين ربوع الوحي ، وفي الأفق الذي  
أطلعَ الرسالةَ ، وفي الثرى الذي انبت (محمداً) ﷺ - هناك الحياة جادةٌ  
هادئةٌ وقور . هي حياةٌ توحى بالفكر وتبعث على التأمل فتعيد للأرواح قوتها  
وسلطانها على المادة وتصحح للمرء حكمه على الأشياء .

لقد أرى الانسانَ قبل أن يحج خاضعاً لسلطان المادة تُصرف روحه وعقله ،  
لكنه بعد أن يشهد المشاهد المقدسة ويتمثل هناك شخوص الأنبياء ( ابراهيم )  
و( اسماعيل ) و( محمد ) وآثار هؤلاء الانبياء . ثم يندمج في الروح الكلي لهذا  
المجتمع ، ثم يفكر ويتأمل - فيصبحُ وقد أخضع المادةَ لسلطان عقله وروحه  
فلا يرى فيها الا ما هي جديرة به . فهو لا يقدرّس المادة وانما يقدرّس الروح وهو  
لا يُستعبَد للحياة وانما يعلو على الحياة .

أو ليست أولى مراحل الحج هي الإحرام ، وهو كبتٌ للأهواء واطراحٌ  
للمظاهر الكاذبة الخادعة ؟ إنه تجرّدٌ عن الثياب المخيطة الموشاة المحبّكة  
الأنيقة التي تحجب حقيقة الانسان ، وتجعل من بني آدم صنوفاً وطبقات .  
لكلّ شعارٌ . ولكلّ دثارٌ . ولكلّ شارةٌ ولكلّ علامةٌ . فاذا ما  
أحرموا في ازْرهم وأرديتهم ، ورؤوسهم عاريةٌ وأقدامهم حافيةٌ ، فقد رُدّوا  
الى حقيقتهم ورجعوا الى أنفسهم وأدرّكوا مقدار ما يكفيهم من العيش ؛ وما

يواريهم من الشيا ب . وليست الزيادة على ذلك الا جلباً اللهم وتنغيصاً للعيش  
وإثارةً للتناحر والتناهب والكيد والعدوان ..

\*\*\*

واذا كان من حق الاجسام أن تستجيم كل عام ، وان تستشفي في المشاتي  
والمصايف ، وأن تطلب علاج الأعضاء في شعاب الجبال ، وبين مساقط المياه ،  
وعند منابع العيون ، فأحرى ثم أحرى أن تنفس للأرواح علاجاً في رحلات  
كرحلة الحج !! هناك يرتقي الانسان بنفسه عن مهابط المآرب ، ويدرك أفقاً  
عالياً من الأريحية ، ويشعر بصفاء وطمانينة ورضا ، مبعثها فهم حقيقة  
الحياة ، والأخذ بالشيء من جوهره دون عرّضه ، ومن لبابه دون قشوره ،  
ومن باطنه دون ظاهره ...

\*\*\*

من قبل أن تبدأ الرحلة الى الحج ، ومن قبل أن يحل يومها ، بل بمجرد إزماع  
السفر ، وانتواء النسك ، أخذنا شيئاً فشيئاً نتخفف من أقال الحياة وتبعاتها  
ونندمج شيئاً فشيئاً في الجو الروحي الذي تهباً له النفس ، وتتطلبه من  
ينابيعه الأولية .

فلقد كنّا ونحن على ظهر الباخرة أحرص ما نكون على تحاشي اللغو من  
الحديث ، والعبث من الكلام ، يسود الكل إخاء وود وصفاء وسلام . جاعلين  
نصب أعيننا : « فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ  
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » حتى اذا ما عاودت المرء عادته ، وغفل أو سها  
عما هو بسبيله في رحلته ، فراح يلغو أو أخذ يعبث ، ابتدره أخوه ورفيقه  
يهتف به مذكراً منها ( لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْكَ . لَبَيْكَ لَا شَرِيكَ  
لَكَ لَبَيْكَ ) عندئذ يعود الحاج الى ما بدأ فيه ، ويرجع الى نفسه ، فيأخذ

فيما يأخذ به الحجاج من تدبرٍ وتأملٍ وفكرٍ ويقظةٍ روحية ...

وفي كل مشهد ، وفي كل طريق ، وعند كل أثر ، وأمام كل مَنْسَكٍ يشعر الإنسان بمصادر القوة الروحية . ويدركُ انه أخذ يتفهمُ حقائقَ الوجود !! هناك تناجيكِ أقدسُ الذكريات . فتصَّبُ في وَعْيِكَ اليقينَ والطمأنينةَ صَبًا . ثم يذهب بك الفكر في أغوار الزمن الى حيث ترى صورَ التاريخ حيةً . وترى شخوصَ الأنبياء . والصدّيقين والشهداء . تراهم وقد علام جلالُ الحق . وجلَّلهم نور اليقين . وحفَّتهم سَكينةُ الله . حتى لتتهتز الدنيا وهم ثابتون . وتطير الأفئدة وهم راسخون . والعزاء الوحيد لتلك النفوس التي سَمَتْ فوقَ الحياة ، وفوقَ الشدائد ، وفوق الأحداث « لا تَحْزَنُ » إنَّ اللهَ مَعَنَا .

لقد أَخَذَنِي الرَّهْبُ والتهيبُ من الساعة التي خَلَعْتُ عني فيها مظاهرَ الدنيا ، وارتديتُ ثيابَ الإحرامِ البسيطة ، وكلمتُ مرَّاتٍ الساعات ، واقترب الشاطيءُ المقدس ، يأخذني في عِنَانِهِ سابحُ جِوَالٍ من الفكر ، وتزدحم أمام بصيرتي صورَ التاريخ المقدس ، وأجريري في خاطري : أحقاً !! ان كل ما قرأته ووعيتُه وحفظته من كل معنى ديني ، سأرى غدًا أو بعد غد أفقه رأيَ العين؟؟ واتنفسُ في جوه بلاء رثي؟؟ ثم أترسم خطواتٍ شريفةً مرَّاتٍ ها هنا !! وهنا !! ودَرَجَتُ بين تلك الشُعاب ، وفي هايتك الهضاب ؟ فأَيُّ سعادةٍ تنتظرني ؟ وأيُّ نعمٍ رُوحِيَّ يترقبني !!

وما كدتُ أَخَذُ في طريقي بين جَدَّةٍ ومَكَّةَ أم القرى ، حتى صرتُ أتعجلُ السائقَ ، وأسأله : متى نصل الى ( مكان الحديبية ) ؟ ومتى نستملي جِوَاهَا ؟ ونرسلُ أبصارنا وبصائرنا بين أقطارها ؟ فيجيب السائق : - لقد صرنا منها أو من ( الشَّمِيسِي ) - الذي صار اليومَ محطةَ منطقتها - صرنا منه قاب قوسين !!

ولا بد من ان ندرك مكة قبل الغروب !! فقلت يا الله ، إن قلبي ليهفو  
الى مكة والى جَوْ مكة ، وإن نفسي لتنازعني ان أنزل ( الحديدية ) وان أعيش  
في جوها لحظة ، إن لم يسعدني الوقت بطول المقام ...!!

وقد كان ! وازلنا هناك - في الحديدية - وصلينا ، وسرّحنا طرفتنا .  
وطافت برؤوسنا كل أحداث ( الحديدية ) وكيف كانت مقدمة لفتح مكة ،  
ولنصر الله المبين ...

ثم شارفتنا مكة ! واقتربنا من بئر ( طوي ) الذي نزل به رسول الله ﷺ  
وهو ماضٍ لفتح مكة ، فنزلنا هناك ، وألممنا به إمامة ، ثم دخلنا ( مكة )  
مُتَمِّين ! فلم يكن شيء أملك للمشاعر ، ولا أقوى سلطاناً على النفس من  
المضي الى الحرم المكي ! ومشاهدة الكعبة ، ملاذ العائد وأمن الخائف ، وقبلة  
الملايين من المسلمين ، ومهوى أفئدة الموحدين ...

\*\*\*

لا إله الا الله ، الله اكبر ، ها هو المسجد ! وها هي الكعبة ! دعني أيها  
المطوّف ، مشغولاً بنفسي ، مأخوذاً برهي ، مأنوساً بريّ ! دعني ، لا  
تلقني هذه الكلمات التي تضيق عنها المعاني ، والتي هي مظاهر لا حقائق ،  
فإننا انا مُستَشِفٌّ من المعاني فوق ما تحدده الألفاظ ! 'طفت' . ثم سعت ...  
ودعوت ! وناجيت ! ولا يتسع المجال ، إلا لوصف مشهدٍ واحدٍ من المشاهد  
الجمة ، التي عرّنتني فيها حالة فريدة ، لا أكاد أمرها بخاطري حتى تعاودني  
هزة من الشعور الروحي العميق ...

دُعينا للمشاركة في غسل الكعبة ، وجلالة الملك السعودي يتقدمنا في  
ذلك . فما أبهر المنظر وما أروع المشهد . وهل تقوى أن تحملنا أقدامنا  
هذه الخاطئة الى حيث الطهر الأبدي ، والقداسة السرمدية ؟ !

لعلَّ الله قبيلَ دعاءنا ، وغسَلَ حَوْبَتَنَا ، قبل أن يدعونا الى الدخول  
في هذا القدس الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ...

صعدنا سلم الكعبة والقلوبُ واجفةٌ ، والرهب يملأُ شعاب النفس ، وما  
كدتُ أرى الملك ، ( يُشْمَرُ ) عن ساقه ، يحمل المِكنسة ، ويتبعه اميرُ  
الحج المصري ومرافقوه ، والكل جادٌ بمكنسته متنقلٌ في جوف الكعبة ،  
وبين أركانها ، وماءُ الورد يجري طهوراً ، ورشاشهُ يُتَلَقَّى بركةً وسعادةً  
وذخيرةً ويمناً ...

قلتُ وما كنتُ أحسب أن احداً يسمعي : - لا إله الا أنتَ وحدك  
لا شريك لك ! هنا يتجلَّى ذلُّ العبودية ، وعظمةُ المعبود ! هنا يقوم بخدمة  
بيت الله ملوكُ الارض ، وعظماءُ الأمم ، وقد عنتُ وجوههم للحي القيوم ،  
فياله من مشهد يقذف بالغرور الانساني ، ويسمو بالنفس الى الأفق الأعلى !  
وتتجلَّى عنده حقيقةُ الآدمي ، وإن علا قدره ، وعظم شأنه ، فان ناصيته  
بيد الله الواحد الديان ...

وسمعتني - جلاله الملك - فوقف ، وقال : اسمع يا بُنيّ : - والله ما انا ،  
ولا أبنائي ولا أحفادي إذا لم يقبل الله حجهم ، ويرحم ضعفهم ، بأعز ولا  
بأكرم من رجلٍ حاجٍ مجهولٍ لا يعرفه أحد ، أخلص عبادته لله ، فقبل الله  
عبادته ! ثم طفرت دموعُ عينيه ، على مشهدٍ من الحاضرين .

\*\*\*

هنا أدركتنا جميعاً رقةٌ ورهبةٌ ، وهتفنا ( الله أحكم الحاكمين ) .

## من وحي الحج ومن إلهام الزيارة

٢

قدّ منا من قبلُ أن الحاجّ ، في كل مشهد ، وفي كل طريق ، ولدى كل منعطف ، وعند كل أثر وأمام كل منسكٍ ، يشعر بمصادر القوة الروحية ومنابع الفيض الإلهي . ثم يدرك أنه قد أخذ يتفهم حقائق الوجود ، وراح يتكشف أمامه غطاء الأوهام ، فاذا البصيرةُ والبصر تدرّك وترى الأمور كما هي لا لبس ولا غرور عندها !

هناك تناجيك أقدسُ الذكريات فتصبّ في وعيك اليقينَ صبّاً ، وتشيع من حولك الطمأنينة رويداً رويداً .. ثم تسلم نفسك الى الفكر في أغوار الزمن حيث ترى صور التاريخ حيةً ، وترى شخوص الأنبياء والصحابة والتابعين والشهداء . تراهم رأي العين يضربون في ارض الجزيرة يبتغون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . يصارعون الباطل والمبطلين وقد علام جلال الحق . وحفتهم سكينه الله حتى لتهتز الدنيا وهم ثابتون وتطير الأفئدة وهم هادئون وتزلزل الاجيال وهم راسخون وتتجمع قوى الشر من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم وهم مطمئنون الى وعد الله ، واثقون من وعيد الله ! وكل عزائمهم اذا اظلمت الدنيا وفدحت الخطوب : «لا تحزن ان الله معنا» .

لا تزال هذه الذكريات للرحلة المقدسة تزدهم في خاطري ، وكلها ذو أثر

عميق . وقد حاولت أن أرتبها زماناً فأعجلني بعضها عن بعض . وهل أنا  
مستطيع الآن أن ارجىء ما أوحاه إلي يوم عرفات ! وجوّ عرفات وأفق  
عرفات ! والاصداء التي تتجاوب بها الفيافي والجبال عشية عرفات . اللهم لا .  
فانها لذكرى تهز وجودي هزاً وتعيدني الآن كما كنت واقفاً لساعتي ولحظتي  
وبرهتي .

في الساعة التي اخذت الشمس تنحدر الى مغربها عشية عرفات وقد انعكست  
اشعتها على ما هو قبالي ، من الصخرات الجاثمة ، جثوم الاقدار من وراء الغيب ،  
فأرسلت الأشعة الغارية المتضعضة ألواناً وضياء ، فيها رفق وحَدَب ، بعد أن  
تكسرت حداثتها ، وذهبت مع الظهيرة وقدتها .

فأيّ وحي أوحته اليّ تلك الأشعة المنحدرة وراء آفاق عرفات ؟ انها  
لتؤذن الحجيج ، وتؤذن الدنيا بأن شمس اليوم او شمس الكون آفلة بعد  
بزوغ ، وانها متوارية بعد بروز ، وان كل حياة فالى انتهاء ، وكل جذوة فالى  
رماد ، وكل حيّ فإلى فناء ، ويبقى وجه ربك ذو الاجلال والاكرام .

وتنبهت الى وجودي ، وارسلت بصري ، فاذا الحجيج قد انتشروا فوق  
الصخرات ، وفوق الهضاب ، وفي رؤوس الجبل ، واذا الجند يقفون أمام  
السيول المندفعة من الناس ، يمنعونهم ان يصعدوا الى قمة عرفات ، والناس  
يدافعون الجند ، ويغافلونهم ليسلكوا الى ذروة عرفات سبيلاً ، ثم تتاح لهم  
الفرصة ، فيثبون الى فوق ، ثم الى فوق ، ثم الى الرأس الناقثة من جبل عرفات .  
ويتحول الجبل ، وما يحيط به من سفوح ، الى جبل كله آدميون ، تلاصقت  
اجسامهم ، وتشابهت مظاهرهم ، بل تشابهت قلوبهم .

نعم لكأني اشهد الآن الوفاً يتبعها الوف ، في صفوف من وراء صفوف ،  
والكل في لباس واحد ، وزى متشابه ، قد تكشف الحق ، امام البصائر  
والابصار عن ضعف الانسان وغروره ، وعن قدره اذا سما ، وعن وزنه

إذا لها .

هذا المشهد الذي يجتمع فيه من العديد ما لا يجتمع لمكان آخر ، في وقت واحد ، في اللباس الذي يكاد يبرز المرء عارياً ، حافياً ، لا تمييز فيه بين الصغير والكبير ، ولا بين المشهور والمغمور .

هناك تبدو أقدم صور المساواة ، بل أصدق حقيقة المساواة ، مساواة بين الخلق كما يراهم خالقهم ، فلا إشارة ولا علامة ولا انساب بينهم ، ولا مواضع الحياة تفرقهم . هذا المشهد الذي يبدو في بساطة ، ويلوح في سذاجة ، قد انطوى على قلوب عامرة بالآيمان ، جياشة بصدق اليقين ، ومن وراء الضلوع أجيح من الزفرات ، وهيب من الأناث والحشرات ، لكل واحد من الواقفين شأنٌ يغنيه ، ورجاءٌ من ربه يرتجيه ، فأبصارهم جميعاً شاخصةً إلى السماء ، وأيديهم مبسوطةٌ بالدعاء ، وقلوبهم ورجلةٌ ، إنهم إلى ربهم راجعون .

طاعة خالصة لله ، ونجوى صادقة تفيض بها الوجوه ، واطراحٌ ونسيانٌ للمشاغل الدنيا ، فما المالُ ولا الجاهُ ولا السيطرةُ ولا السلطانُ ، ولا الشهرة ولا النفوذ بنافعة ولا بشافعة في هذا الموقف ، ولا في تلك اللحظة ، وإنما ينفع ويحدي إسلام النفس لله القائم على كل نفسٍ بما كسبت ، وعلامةٌ ذلك أن تحبَّ الله ، وإن تبغضَ الله ، وأن تعمل العمل لله . وإن تُشعر قلبك الرحمة بعباد الله ، والرقّة على خلق الله .

هناك سمّت نفسي إلى أعلى من الأفق الذي يحيط بي ، وراح طرفي يحار بين أقطار السماء ، وتمثلت ملايين المسلمين الذين وقفوا هذا الموقف في غضون السنين ، فصوروا الوحدة في أقدس معانيها ، والتعاون في أجل مظاهره ، والإخاء في أبهر ألوانه ، وسرائر الناس وقلوبهم قد صفت وطهرت ، فلا حقد ولا حسد ، ولا غش ولا خداع ، ولا تكلف ولا رياء .

وناجيت نفسي : ليت المسلمين من ملايين الحجيج يوم يعودون الى ديارهم ،  
ويضطربون في شؤون الحياة ، يبقى لهم من هذا الموقف وحيه وهواقفه ، ليتهم  
يلحظون هذا السمو وتلك الفضائل ، ويستعيدون هذا الادراك الصادق للوحدة  
الاسلامية ، بل الوحدة الانسانية .

إذن . لما وقف امام وحدة المسلمين عائق ، ولا استهان بهم مستهين ، ولا  
قضى عليهم قاض وهم 'غيب' لا يشهدون .

إن المسلمين في أقطار الدنيا يعدون بمئات الملايين ، وليس ينقصهم الا الروح  
الذي سادهم في عرفة ، يسودهم إذ يتقلبون في البلاد ، وإذ يعودون الى الديار .

وبينا أنا أسعى بين الصفا والمروة بعد طواف الإفاضة ، صبيحة يوم العيد ،  
بعد يوم الوقفة بعرفات ، ولا تزال ذكرياتها وسوانحها ماثلة في خاطري ، والسعي  
له ذكريات وتوجهات لرب الكون ، أن يفتح أبواب الرحمة لعباده البائسين ،  
كما فتحها من قبل « لهاجر » ولولدها « اسماعيل » . وهي تسعى كما نسعى ،  
وتبتهل كما نبتهل وترجو كما نرجو ، ورحمة الله وسعت كل شيء .

فبينما أنا كذلك ، إذ شاهدت جمعاً ينعطفون بالقرب من (الصفا) إلى منحى  
حارة الباب ، وأمامهم (الدليل) يشير إلى مكان دار عتيقة اجتمع لها من كرائم  
الذكريات ، ما يثير قداسة العقائد ، وهو آلام الدنيا في سبيلها .

فتعقبت الجمع بعد انتهاء أشواط السعي ، وإذا أنا أمام (دار الارقم) التي  
اشترتها بعد (الخيزران) زوج المهدي العباسي ، وأم هرون وموسى الخليفين ،  
اشترتها ، ثم عنيت بها ، إبقاءً على أجد ذكري ، وأعز أثر .

وقفت هناك ، وأخذت أقرأ ما هو منقوش على حجر مرفوع قرأت : -  
« في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو »

والآصالِ رجالاً .

وفي سطر آخر كُتِبَ : ( هذا مختبأ رسول الله ، ودار الخيزران ، وفيها مبدأ الاسلام ) .

أخذتني روعةٌ ، وسرت في نفسي رهبةٌ ، وجعلتُ أناجي نفسي : - من هنا بدأت العبادة الخالصة لله ! ومن هنا انبعث القبس الذي أضاء الدنيا ! يا لله ! كم من ليلة دخل هذا المكان سيد البشر ﷺ يمشي على حذرٍ ، فيجتمع بالقليلين من المؤمنين ، يصلي بهم ، ويعلمهم القرآن والحكمة ويزكيهم . وقريش تتبعمهم بالأذى . وتتحسس منهم ومن دينهم ! ثم تمثلتُ (عمر بن الخطاب) وهو في جاهليته قد صمم وعزم على أن يغتال صاحب الدعوة ﷺ ، بعد أن سفه دين العرب ، وسخف عبادة الأصنام ، وفرق أمر قريش .

تمثلت ( عمر ) وقد سرت في نفسه حمية الجاهلية ، فجاء الى هذه الدار ليقتل محمداً في ليلة ، ما كان أشأمها ، لا بل ما كان أئمنها ، فيلقى في طريقه ( نعيم بن عبدالله ) فيظهره عمرُ على ما انتواه ، فيقول له نعيم : - لقد غرتك نفسك يا عمر !! أتظن أن بني عبد مناف تاركوك تمشي على الارض ، وقد قتلت محمداً ؟؟ إرجع ، يا عمر ، وأصلح بيتك وآلك ، ألم يبلغك ، يا عمر أن أختك فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد قد أسما ، وتابعا محمداً على دينه ؟ ويغتاظ عمر ، وتشتد حميته ، فيتحول عن هذه الدار ( دار الأرقم ) الى دار أخته ، ودار أخته ساعتئذٍ ، عامرة بقراءة القرآن ، زاخرةً باليقين والايان . ويندفع هذا الرجل ، عمرُ الشديد القوي ، ويصيح : ما هذه الهيمنة التي أسمع ؟؟ ثم يشرع يبطش بزوج اخته ، فتتدخل اخته دفاعاً عن زوجها المسلم ، فيشجها عمر شجاً يتقطر له دمها الزكي الطاهر ، وتضطرب الدار ، ويندم عمر ! ثم يندم ! وينتهي في تلك اللحظة كل ما كان بينه وبين الشرك ! فيطلب الصحيفة التي كانوا يقرأونها ، ثم يقرأها ويعيها ، ويصغي الى ما فيها ، وفيها :

« طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ،

تنزيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الارضَ والسَّمَوَاتِ العُلَى ، أَلرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ  
اسْتَوَى .

فيسرع عمر ، يطلب محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، بهذه الدار ( دار الارقم ) لا ليقتله ، بل  
ليعلن إسلامه به ، وبما جاء به !

وأتمثلُ اللحظةَ الرهيبةَ ، إذ قرع ( عمر ) باب هذه الدار على محمدٍ  
وصحبه ، وأذكرُ ما خَطَرَ لهم ساعتها من قوة عمر وحميته ، وأنه قد ينتوي  
امراً جليلاً ، فما هو إلا أن يبرز له محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، ويأخذ بأطراف رداءه ، ثم  
يحبذُه حبذةً شديدةً ، ويقول له : - ما جاء بك هنا يا ابن الخطاب ؟ فوالله  
ما أراك قلتني عن محاربة دين الله ، حتى ينزل الله بك قارعة ؟ .

وتسري رقةُ العقيدة في كيان عمر فينطامن ، وتهتز نفسه اهتزازاً  
رفيقاً ، ويقول : - إنما جئتُ مؤمناً بالله وبرسوله وبما جئتُ به من عند الله .  
ويكبرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكبرُ المؤمنون ، وتهتز مكة شعابها وجبالها  
بإسلام عمر ، ويعتزُّ به الاسلام ...

هذه هي الدار التي أراها وتسعد نفسي بذكرها ، الا عمر ك الله يا دار !

## من وحي الحج ، ومن إلهام الزيارة

٣

ما برح إلهام الزيارة يتدافع ، وما زالت دراساتنا تتسع ، فهي ترجيع لما تجاوزت به النفس عندما صعدت جبل النور ، واضطجعت في غار حراء .

وغار حراء ، علم دونه كل الاعلام ، واسم يبعث الصحف الأولى من تاريخ الوحي المحمدي . لهذا ، كنت ارى كل حاج يعود ، ويقص علينا من مشاهد الحج ، وآثار الارض المقدسة ، فلا يشغلني ، ولا يأخذ بأصغري واكبري إلا ان أسأله عن ( حراء ) ، وعن جبل النور ، اسائل كل راجع من الحج : هل صعدت جبل النور ؟ هل رأيت حراء ؟ هل تلميت من المكان الأقدس ، الذي انبثق عنده نور الحق ، فأضاءت له الدنيا ، واشرق منه الوجود ؟؟ فكان دائماً مرجع سؤالي ، إن المرتقى لصعب ، وان القمة لسامقة في السماء ، وان النفس يتقطع دون بلوغ القمة ، وانه لا يتاح ارتقاؤه الا لذوي القوة ، أولى العزم . ثم يقول العائدون من رحلة الحج في عبارات نادمة آسفة : لم استطع صعود الجبل ، لما يتحدث به المتحدثون من وعورة الطريق ، وصعوبة المرتقى .

و كنت أعجب كيف تقعد هذه الأسباب أي مسلم مستطيع - ولو يجهد ومشقة - ان يصعد فيرى المكان الذي اختاره الله ، كما اختار رسوله لبني الانسان - والله أعلم حيث يجعل رسالته - اختاره الله مكاناً ، من بين أماكن

الدنيا ، وبقعة من كل بقاع العالم ليبدأ منه ، أول خطاب من الله لنبيه ، ويُفتتح فيه الفصل الاول من كتاب الوحي الإلهي ، وحي الله على النفس المطهرة الزكية ، النفس المحمدية .

من أجل هذا كان شغلي الشاغل ، وأملي المرتجى ، وحديث نفسي ، وواحة حسي ، أن أصدع جبل النور ، وأن أشهد غار حراء ، فلما كان يوم زيارتنا لقصر الملك ، تلك الزيارة الرسمية غداة حلولنا مكة المشرفة ، ذهبنا الى ظاهر مكة حيث الأبطح ، ثم انعطفنا الى ناحية القصر الملكي ، فسألت السائق : ما هذا الجبل السامق ؟ فقال : هو جبل النور ، وفيه غار حراء . فما كدت اسمع ذلك ، حتى طلبت اليه ان يهديء السير ، أو يقف السيارة ، حتى أرى هذا الجبل بعيني وبقلبي ، ولو من بعيد ...

ثم انتهت الزيارة ، وعدنا ، فرجوت السائق وقفة اخرى ، ومن ذلك أصبح لا يقر لي قرار ، أو أظفر بصعود جبل النور ، وأرى حراء .

وفي مساء اليوم التالي كنت بالتكية المصرية . وفكرة صعود الجبل تملك علي نفسي ، فبسطها ورجوتها ، ورأيت من ناظر التكية ومهندسيها رغبة ملححة في اصطحابي ، ثم اخذ يهون من الأمر كل صعب .

فتواعدنا فجر الغد لنصلي الصلاة الأولى بالحرم المكي ، ثم نجتمع بالتكية قبالة الحرم ، ومن هناك نسير - على بركة الله - قبيل الشمس . حتى لا تحرقنا وقدها ، واذا هي ادركتنا ففي حبوتهما الأولى ، قبل أن تتوسط السماء .

تم كل شيء . وصحبنا رفقة أبرار ، فيهم توثب ، ولهم عزم شديد . فلما قاربنا سفح الجبل ، جبل النور ، نظرنا الى الجبل فاستهوننا مشقة الصعود ، بل عجبنا كيف يُخذّل الناس بعضهم بعضاً عن ارتقاء الجبل ، فلما جاوزنا الدقائق الأولى ، ونحن نصعد في نشاط وعزم ، ادركنا اول التعب ، وعرفنا أن الامر

ليس من السهولة بحيث قدرنا . لكن الغاية عظيمة ، والهدف سام ، والتراجع خور . فأخذنا نَشُد من أمرنا ، ونستجمع من قوانا ، لكن الصخورَ غيرُ معبدات ، والمساقط راسية . وتبيننا أننا لا نزال في ربيع الطريق ، وأخذنا تعب ، ونال منا الجهد . وشكا احدنا للآخرين خشية الجهد ان يعاوده مرض ملازم ، فوقفنا جميعاً ، وأقسمنا ليبقين حيث هو ، أو ليعودنَ أدراجه ، بعد ان طيبنا خاطره ، بأن الله شهيد على ما جهَد ، وأن نية المرء خير من عمله . واننا اذا اسعدنا الحظ ببلوغ القمة ، سوف نذكره هناك ذكرنا لأنفسنا ولاآلنا ، قلنا ذلك له في رجاء وشفق . وكنا نحشى عناده وصلابته . فهو رجل قوي النفس . صليب المكسر . وما زلنا به حتى رضي البقاء كارهاً آسفاً .

اخذنا نتسلق الجبل في مشقة تزداد ازدياداً ، وكلما قطعنا مرحلة اشتدت ضربات القلب . وتتابعت الانفاس . وكثر الجلوس . بل الاستلقاء إعياءً ونخاذلاً . لكنّ بعض رفاقنا جعل يهون من باقي المراحل ويعلنا باننا جاوزنا ( النصف ) . النصف فقط . كل هذه الشدائد ولا نزال في نصف الطريق .

نظر بعضنا الى بعض . هل يراكم من احد ؟؟ حتى لقد صمم الكثير على العودة . أو البقاء حيث وصل . فليست العودة بأروح من تركها . وشهدنا هولاً ما نحن قادمون عليه . وتصبب العرق من جباهنا بل صرنا غرقى فيما تنضح الأجسام من ذلك العرق . وكان الرفيق القائد يستحني . ويتابع السؤال عني . وكنت أحب أن أبقى ساكناً فلا أتكلم . لأن الحديث يشق عليّ . ويضاعف من تلاحق أنفاسي . واشهد لقد هممت بعد جولة أو جولتين ان انقطع عن الرفاق . وان الحق بصاحبنا الذي تخلف لمرضه . لكنني وجدت باعثاً خفياً قوياً يطارد هذا الفكر ، ويدفع بي أن اصعد ثم اصعد . وأجهد نفسك . ثم أجهدها ، فالرجوع خيبة في الامل . وانها المريرة . وعند القمة الراحة الكبرى . وعندها تنعم نعيم الظفر . وتدرك معنى سيطرة النفس على اعياء الجسم . واذا طالعك المكان الاقدس . عند القمة . ذهب كل المشقات .

بل ربمّا هانت عليك كل أحداث الدنيا . ووجدت الطمأنينة النافرة . والسعادة  
الروحية المنشودة . ونُفِثَ في روعي ما يردده حديث الناس . أن كلَّ صاعد  
( حراء ) واجدٌ عوناً من الله . وتيسيراً من لدنه . وانه بالغ مأمّنه ان  
شاء الله .

أخذت اصعد بل أزحف زحفاً متيامناً ومتياسراً ، اجلس طوراً ، واستلقي  
أطواراً ، حتى بلغت ( القمة ) وقد مضى من الزمان ساعة ونصف  
الساعة .

الله اكبر . بلغت أمنيّتي ، وأدركت من الخير إربي ، فها أنا فوق القمة ، التي  
التي لم تغيرها القرون ، ولم تحل على اختلاف الليل والنهار . بلى ، ان كل أثر قد  
تغير ، او اندثر ، وكل شيء قد تغير ، لكن تلك القمة ما زالت ، كما كانت ،  
هي هي ، قمة حراء ، كما كانت منذ قرون خمسة عشر ، كما كانت يوم صعدتها ،  
رسول الله ﷺ ، كما كانت ساعة الوحي ، ساعة الفصل في تاريخ الانسانية ،  
ساعة ظهر الملك للرسول الاكرم ، وخاطبه بكلام الله حقاً . انني اقف الآن ،  
في المكان الخالد أثراً ، الباقي على الدنيا ذكراً عطراً ، مكان الوحي الاول ،  
ومجتملى الانوار الربانية .

قمة جبل النور تبدو سطحاً في نحو الاربعين ذراعاً مربعة ، ومن هناك  
تترامى أقطار الافق ، فيرى الناظر الجبال المحيطة بمكة ، ويرى المسجد الحرام  
ويرى الكعبة المشرفة ، ويرى أسراب الإبل تدب كأنما هي النمل ، من بعد  
المدى ، وسموق القمة ، ويرى السفوح والآكام والدروب والشعاب كل ذلك  
تخيّم عليه القبة الزرقاء ، والسكون الشامل الرهيب ، الذي يكاد يسمعك  
خفقان قلبك وحديث نفسك . منظر ساحر عجيب ، يُغرق الفكر في التأملات  
ويرده الى القرون الخاليات ، الى عصر النبوات . اذ نحن في حضرة محمد رسول  
الله وهو يقف هذا الموقف ، ينظر الى السماء فوقه كيف رفعت ، والى الجبال  
كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت ، والى الابل كيف خلقت ؟ ثم يفكر

في خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء . كل هذه المشاهد الصريحة الواضحة لتوحيي بحلال الوجود الأعلى الذي لا يحد ، كما توحي بضعف الوجود الانساني الفاني .

حدثت نفسي من فوق القمة ، اذا كنا اليوم قد قاسينا النصب والتعب في الصعود أشكالاً والواناً ، وتقلب علينا الأمل واليأس ضرورياً وأطواراً ، وكادت نفوسنا تزهد كلالهً ورَهَقاً ، وضعفاً ووهناً ، فكيف كان عليه الصلاة والسلام يصعد مرات ومرات ، ويختلي هنا ليلات بعد ليلات وهو وحيد فريد ، يا الله ما أصعب المرتقى وما أبعد الغاية وما أعز الوصول الى هذا المكان . ولكن ، أليس محمد رسول الله يخاطبه ربه (فاصبر كما صبر أولو العزم) أليس قد اجتمع له ما تفرق في الانسانية من شدة المنة وقوة الأيد ، ومنتهى الاحتمال .

الا ان منازل الابرار ، لا تدرك الا بقوة ومضاء عزم ، ولعمري ليس أوعر من ضبط النفس ؛ وجمع القوى لاجتياز محن الحياة ، حتى يبلغ الانسان قمة السيطرة على ما في الحياة من ضعف وخور وعبث وهو . وحتى تفتتح نفسه عن كنوز من السعادة الروحية التي لا تحول ولا تندثر .

هذه القمة التي أوحى لنا ما أوحى . هي قمة جبل النور . اما الغار غار حراء . فلا بد للوصول اليه من ان ننحدر بعد ذلك عن تلك القمة الى الجهة المقابلة لمكان صعودنا . وقد انحدرنا نحو عشرين ذراعاً ومررنا في انحدارنا نحو الغار بججرين عظيمين من الصخر يتقابلان معاً حتى ليكاد يتم تلاصقهما ولا يمكن الوصول الى (الغار) الا بالمرور من بينها . فكيف السبيل اذن الى الغار ؟ قال رفاقنا : مرّ.. مرّ.. فكلنا مرّ . فأقدمنا وتوكلنا على الله . ومرق جسمي من بين الصخرتين وانا اعجب كيف اتيح لي ذلك وأكاد انكر ما ارى وما أحس . وعندئذ وجدتهني وجهاً لوجه أمام باب الغار ، غار حراء .

الله اكبر . أهذا هو الغار الذي أوى اليه محمد رسول الله ﷺ ليخلو الى

نفسه مأنوساً بما يلهمه إياه ربه . مفكراً في هداية قومه . باحثاً عن الحق . الحق  
الذي يسعد الإنسانية المعذبة ببطش الطواغيت الذليلة بعبادة الاوثان .

أيها الغار ، غارُ حراء . كم من ليلة كان الظلام يخيم على الآفاق فيحتلك  
الليل وتفسد فجاج الأرض ، الا انت أيها الغار . فلقد كان يسطع النور الوهاج  
من قلب ساكنك هذا النبي الكريم ، فتمتلئ أرجاؤك نوراً وهدى وأملاً  
ورجاء .

ان الغار مكان لا يتسع الا لواحد يضطجع فيه . فاذا وقف وجعل الباب  
خلفه كان متجهاً في ذلك الوضع الى الكعبة آخذاً سمته الى البيت الحرام . فما  
أعجب التقدير وما أبلغ التصاريف .

دخلت - الغار - خائفاً اترقب . حذراً أترهب . واضطجعت فيه ضجعة  
انستني كل شأن من شؤون الدنيا . ورحت استروح عندها السعادة والرضا  
والغبطة والأمن والراحة . ثم اخذتني هزة أذهلتني عن نفسي . فتمثل لي ان  
جبريل واقف أمامي في هالة من النور الأعلى . وانه قد ضم محمداً رسول الله ﷺ  
حتى بلغ منه الجهد . وأنه اسمعه صوته الملائكي يقول له عن الله (اقرأ باسم  
ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم  
بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

ثم أخذتني روعة . وعرتني رهبة . فقدرت ان هذا الجبل الذي نالني في  
ارتقائه ما نالني من نصب وتعب . قدرت أنه الساعة يهتز ويهبط من خشية  
الله .

ألا من شاء أن يجد الحق ناصعاً ، والروح صافياً ، فليكن له في بعض  
الأوقات عزلة عن الناس ، يرسل فيها تأملاته ، ويطلق فيها نظراته ، تاركاً  
عجيج الدنيا ، وصخب الحياة . ان في ذلك لهدى ونوراً ، وشفاء لما في  
الصدور .

## من وحي الحج ومن إلهام الزيارة

### ٤

هذا هو الحديث الرابع من وحي الحج ، ومن إلهام الزيارة . انقل اليكم فيه صورة نفسي . يوم ازمعنا الرحيل عن مكة الى المدينة ، بعد ان قضينا مناسكنا ، وذقنا حلاوة الامن والسلام والرضا في جوار بيت ربنا . فما راعنا الا تحديد موعد السفر . وان ليس للانسان بعد اليوم هذا الانس الروحي . وذلك النعيم النفسي . الذي يبعثه اقدس مكان . واعز مقام .

لم يبق امامنا من المناسك الا طواف الوداع . والوداع مُرُّ أليم فكيف وأنت تودع مهوى الافئدة . تودع البيت الحرام . وتلقي نظرة اخيرة على اركان الكعبة . وعلى مقام ابراهيم . وتودع رشقات سائغات من ماء زمزم . يقدمها لك ( الاغا ) في طست يقطر نظافة وصفاء ، وعليه ثيابه ناصعة بيضاء . تحدثك ان النظافة من الايمان .

وكيف وانت تودع مجلسك ومقامك قبالة باب الكعبة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، تستقبل الرحمت . وتستنزل الرضوان . مأخوذاً بجلال المكان . وعظمة الايمان .

كيف وانت تودع سماع التلاوة الندية العذبة ، التي يرتلها امام الحرم في صلاة الفجر . ان قرآن الفجر كان مشهوداً . تشهده الملائكة . فما اروع التجويد ، وما

أحلى النبرات . تودع ذلك كله ، بل تودع راحة نفسك ، وسكون حسك ،  
ويقظة روحك .

لقد تركت رفاقي يختبرون السيارات ، ويختارون لها السائقين . من مهرة  
النجديين الذين حذقوا الصحراء مداخلها ومخارجها. تركت ذلك وانفلت وحدي  
الى الحرم لأطوف الوداع . ثم اخذت اجلس في كل مكان جلست فيه من قبل ،  
وأقف كل موقف كنت استروح فيه ، وأمس كل جانب كنت ألمسه ، ثم لاحت  
مني انتباهة الى حمام الحمى الذي أنست به ، وأمن لجواري ، فوددت لو  
اقترب مني فمسحت بيدي جناحيه وناجيته نجواي الدائمة ، تحناناً الى البيت  
العتيق . .

وأعجلني رفاقي ، فغادرت الكعبة ، وأنا انظر اليها ، وامشي القهقري  
ولسها . بها اذ هي رمز التوحيد ، وعنوان الحق الواحد في هذا الوجود . وبلغت  
باب الوداع ، وتخطيته ، والوحشة تحز في قلبي حزاً لولا أن طافت بنفسي - من  
رحمة الله - في تلك اللحظة ، أطياف المدينة المنورة ، فأسلمتني الى نوازع الشوق  
الملح نحو ( طيبة ) مثنوى سيد المرسلين .

وبينا انا في خواطري هذه اذ لا تزال الكعبة ماثلة أمامي ، واذا لا يزال  
الطائفون والعبادون والضارعون والمبتهلون ملء سمعي وبصري - أبصرت  
بالسيارات أمام باب الوداع ، وفي لحظة اخذت تنسات انسياباً ، ينعطف امامها  
الطريق ثم يستقيم ، واذا نحن في واد هابط على جانبيه جبال ذات الوان متباينة ،  
كأنما لونها يد الصانع فتنة للناظرين ، فما هو الا أن يحضرك قول الله تعالى :  
( ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمراً مختلفٌ ألوانها وخرابيب سود ، ومن الناس والدواب  
والانعام مختلف ألوانه كذلك ) وحدثت نفسي ساعتئذ ، او يستطيع المفسرون  
لكتاب الله ان يصوروا ألوان تلك الجبال تصويراً معبراً من قبل ان يروها رأي  
العين ، حتى يستطيعوا ان ينقلوا لأذهان الناس ، أي إبداع فيها ، وأي بهر

## يملك مشاهدتها !

ثم انقطع طريق الجبال ، وأخذنا طريقاً سهلاً بساحل البحر الأحمر بعد  
جُدة ، فاذا بالبحر عن يسارنا واذ هذه المومة المترامية عن يميننا ، والسائقون للسيارات  
يتسابقون في شدة العدو ، واطلاق العنان للقيادة ، حتى بلغنا (رابغاً) في العشاء .  
فلما بلغناها يابى رفاقنا الا أن نمنع في السير ، وأجزع انا لهذا الرأي اذ عانيت  
من سرعة العدو مشقة ، كما عانيت من وعورة الطريق مشقات ، فصحت في  
رفاقي : كيف لا نبئت برابغ ؟ أليست هي (الجحفة) والجحفة مشهورة في  
التاريخ الاسلامي . فمن الجحفة أخذ سيدنا رسول الله ﷺ طريقه الى مكة عام  
الفتح ، فكيف لا نتنفس في هذا الجو ، ونعيش ليلة في ذلك الأفق ، وتطلع  
علينا نجومه ، كما كانت تطلع عليه ﷺ وننظر اليها كما نظر اليها !

ورضي الرفاق بعد لأيٍ وبتنا في الخيام ليلة ما كان أبركها وأمينها ، فقد  
أخذنا قسطاً من الراحة ، ولد لنا طعام رابغ ، او طعام الجحفة ، وهو سمك  
يؤخذ من يد الصائد الى يد الطاهي . ثم استأنفنا السفر عند الاسفار ، فاذا نحن  
نسلك طريقاً وعراً غاية الوعورة ، فمرة نعلو شرقاً من الهضاب ، او سفوحاً من  
الجبال ، ومرة ننحدر في هوة من الهوات ، وطوراً تنفضنا السيارة نفصاً عنيفاً ،  
فنشفق ان يتعطل المحرك او يتحطم العجل ، وكلما شاهدنا عن اليمين وعن الشمال  
سيارات عاجزة "جانحة" ، وأبصرنا عمالها حيارى ، ضرعنا الى الله : اللهم  
اكفنا سوء بما شئت وكيف شئت .

وسولت نفس أحد الرفقاء له أن يقول : كيف يشكو الناس من قسوة  
الطريق ، ومن عطب السيارات وها نحن قاربنا (المسيجيد) وهي آخر مرحلة ،  
ليس بعدها الا المدينة . وها هي سيارتنا بفضل السائق الماهر تتغلب على وعناء  
السفر ، وتنساب بين الصخور فارهة سالمة . قال ذلك ، فما لبثنا غير بعيد حتى  
ترنحت السيارة ووقفت لساعتها فانقطعنا عن باقي السيارات وتفرقنا نلوذ باكناف

الجلاميد والصخور طالبين النجدة من ذوي النجدة .

واخذ السائق يَحْتال احتيالاً ، ووَجَمَ صاحباي . خشية الامساء ، واخذهما همّ وكرب . فقلت : يا صاحبي ، أفحسبتم أن نمضيَ في هذا الطريق ، على تلك السرعة الخاطفة ، فلا يستقر لنا بالصحراء قرار ، ولا نتعرف الى معالمها ، ولا نفقه وحيها . ولا ننزل فيها منزلاً . ولا يصيبنا في سبيل الله ظمأ ولا نصبٌ ولا نمخصة ؟

أو نرغب بأنفسنا ، عما رغبت فيه نفس سيدنا رسول الله ﷺ ، فهو عليه السلام - قطع هذا الطريق جيئةً وذهوباً على ظهور الإبل ، أياماً وليالي ، مراحل ومنازل ، شعاباً وهضاباً ، والزمان غير موات ، والاعداء بالمرصاد . وليس له - عليه السلام - ولأصحابه عند كل شدة ، ولدى كل إعصار ، الا الكلمة الشافية الواقية : ( لا تحزن ان الله معنا ) .

الا ما اعظم العبرة . وما ابلغ العظة من ذلك الطريق - طريق المدينة . انه لطريق لو تحدثت رماله وهضابه وجباله بما شهدت لانصتت الدنيا كلها . وتلفتت العالم الى ارووع ما عرف التاريخ من جلال الحق . وعزة الايمان .

بقينا ساعات اربع نتعاون تعاوناً صادقاً على علاج السيارة . ونطارد اليأس عن النفوس ، واذا نحن برجل يمشي على قدميه من اولئك الذين يحجون ويزورون مشاة حفاة ، لا يتبلغون الا بالكسرة من الخبز ، والجُرعة من الماء . وقف امامنا . وادرك ما نعانيه من جهد . فهتف بنا قولوا : اللهم صلّ على محمد ما جاء الفرج بعد ان كاد العبد يقنط . فاخذنا نهتف هتاف الرجل . ثم نعاون السائق . فما هو الا ان شاهدنا الامداد من الرفاق الذين وصلوا المدينة . وتفقدونا . ثم افتقدونا .

الله اكبر ، والله الحمد . ها هي السيارة قد أصلحت . وها نحن نقطع الطريق

عدواً عدواً . فنبلغ جبلين عن يميننا وشمالنا صاعدين في السماء . والسيارة تحاول ان تبلغ مخرجاً من ذين الجبلين فلا تبلغ ذلك على شدة العدو . وانسياب السيارة . فسألت السائق : أيُّ جبال هذه ؟ فاجابني مبتسماً : انها جبال المُفْرِحَات ، وانها هي المبشرات باقتراب المدينة . اقتراب المدينة ! هنا استيقظ فينا كل احساس . وأرهِفَ منا كل شعور . واتصلت افكارنا بالمدينة المنورة اتصالاً . وراحت خواطرنا تسبح في لجة الزمان الناضر . ذكرت ساعتئذ - وما احببني الاديكار - يوم دخل صلى الله عليه وسلم المدينة . فخرجت المدينة لاستقباله . وذكرته وهو يؤلف قلوب أنصاره من أهل المدينة . فيقول لهم : الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا أنتم برسول الله الى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار . ولو سلك الناس شعباً ، وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار . اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار .

ذكرت ذلك - وذكرت انه عقب هذا الخطاب العاطف الحاني بكى الانصار حتى اخضلت لحامهم ، وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثم دخلوا المدينة ، كما سندخلها الآن . ولاحت مني انتباهة .. ماذا بالقبة الخضراء ، تتراءى صاعدة في السماء ، فما هو الا أن يجيب القلب ، ويخفق الصدر ، ويعين النظر في أقطار القبة الشريفة مستعجلاً الوقت ، متلهفاً على الوصول .

ثم نشرف على باب المدينة ، باب العنبرية . وينتشر في الجو عبق له أريج زكي . ويقول كل لصاحبه : الا تشمُّ ما يتضوع به المكان ؟ فيقول صاحب لصاحبه : انها رائحة الإذخر ، هذا النبت الطيب الرائحة ، فهو ينتشر في هذا الوادي . ويقول الآخر : ان الامر لا يعدو سيطرة الوجدان على الحواس . أما انا فأشهد لقد شممت العرف الذكي وَفَقَمَ أنفي هذا الطيب منها أول المأولون وفسر المفسرون .

ونبهنا السائق أن قد أَلقت عصاها واستقر بها ، وقر عيناً بالوصول المسافر ،

وليشير بأن نستريح قليلاً او كثيراً . ثم نتهيأ للمثول في الحضرة المحمدية . الله اكبر ! أفي مثل هذا المقام يطرق النوم عيوننا او تطمئن الى الفراش جنوبنا . لا . والله . وانعطفنا الى التكية المصرية وهي رمز البر الذي لا ينقطع بدار الهجرة . انعطفنا هناك فاغتسلنا وبدلنا ثيابنا . وأبى لي وجداني في تلك اللحظة الا ان تكون هذه الثياب هي التي اقابل بها عظماء الدنيا وملوك الارض . أأست بعد لحظة سأفد على أكرم الخلق على الله وخاتم رسل الله . ثم أخذت طريقي الى المسجد النبوي الشريف وانا اردد ما كان يردده صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة : (رب أنزلي منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) .

الله اكبر ! ما اروع وابهر . ها انا الساعة استقبل باب السلام فأخفف وقع قدمي حياء وكرامة . وأطرق ثم أغضى ذلة وخشوعاً . واذا كنت في هذه البرهة أقبل على الهجرة الشريفة ، وقد استضاءت روحي بقبس من ذلك النور الساطع ، حتى لقد اشرفت من أمامي الارض بنور رهبها . واني لأكاد اطيير فرحاً لتحقق أمنية تستشرف لها نفسي ، ومع هذا فاني لأذكر ذنوبي فأكدخوفاً وهلعاً ، ولكني اذكر أيضاً في تلك اللحظة قول الله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) . فها أنا ذا جاءها وأنا ذا راج . هذا شأني وأنا ادخل من باب السلام ، فما هو شأني وأنا قبالة الوجه الشريف الأسنى ، لعلي أستطيع ان اصور ذلك في الفصل التالي .

\*\*\*

## من وحي الحج ومن إلهام الزيارة

٥

حديثنا هذا يصف مثولنا في الحضرة النبوية المحمدية ، ووقوفنا 'قبالة' الرأس الشريف الذي أعلاه الله فوق الرؤوس ، وأمام الوجه السنيّ الوضاء الذي أفاض الله عليه من هيئته ، وألقى عليه من محبته . وأشهد ما كذب الفؤاد ما رأى ، وأشهد لقد رأيت في هذا المكان من آيات ربي الكبرى .

وقف حديثنا الماضي ، وأنا اتخطى باب السلام ، آخذٌ سميتي الى المقصورة المحمدية ، او الى حجرة عائشة ام المؤمنين ، تلك الحجرة القدسية ، التي اجتمع لها من الشرف والظهر والسمو ما صارت به أشرف بقعة ، وأعز مكان . وما اكاد اخطو نحو مثوى خاتم الانبياء ، حتى 'يشد' بصري الى الركن الذي يقابلني من المقصورة المنيرة بنور الله ، والله نور السموات والارض ، فلم أعد أشعر بشيء من حولي ، بل أكاد أذهل عن وجودي ، وكلما اقتربت على مهل في رهبة وهيبة ، تسمو خواطري ، وتذهب في آفاق بعيدة ، انتقل فيها الى عالم مليء بالأطياف المقدسة التي جعلت من هذه الارحاء مستقراً ومقاماً . أطياف الملائكة يغدون ويروحون . (تَنزَلُ الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر) . وكأني ارى الوفود من انحاء الجزيرة . وكأني أرى الصحابة من المهاجرين والانصار يتجمعون جماعات ثم يستأذنون على رسول الله ﷺ ، وهو وراء حجراته وداخل بيوته . يستأذنون تأدباً بأداب القرآن : (ايا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان

يؤذن لكم ) . ثم يرتد الي وعيي وأثوب الي نفسي فأقف متسائلاً :

أو قد استأذنا ، وأذن لنا في دخول هذا الحرم الاقدس ، وهذا البيت الاطهر ؟ اللهم إنا نأتمر بأمرك ، ونقف ببابك وباب رسولك ، فاهلنا لتلك الرحاب ، وافتح اقفال قلوبنا بذكرك ، واشرح صدورنا بفيض منك ، وأنر بصائرنا بقبس من هداك : ( ان الهدى هدى الله ) .

ثم اتابع خطوي ، فيكتنفي صديقان من أهل المدينة ، هذا عن يميني وهذا عن يساري ، يريدان معاونتي على تعرف ما حولي من محاريب ، واعمدة ، وآيات وكتابات ، فيتكلم احدهما فلا اسمع من حديثه شيئاً . ويضغط الثاني على ذراعي فلا أحس به . واذهب في عنان الفكر كرة اخرى ، اطوى القرون القهقري ، واستقبل التاريخ الاسلامي ، وهو يملي عليّ صحائفه الأولى ، التي اشرفت على الكون من هذا المكان ، وانبعثت في شتى الأرجاء من هذه البقعة المباركة .

البقعة المباركة من حجرات الرسول ﷺ . فمها تعددت ديار المسلمين ، وترامت آفاقهم ، وتساءت اوطانهم ، واختلفت ألسنتهم وألوانهم ، كانت هذه البقعة الشريفة مهوى افئدتهم ، يجتمعون عندها على الايمان ، ويتآلفون لديها على الحق . ويتآخون في ظلها ، كما تأخى سلفهم الصالح ( لو انفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ) .

وتمر بخاطري صورة تاريخية مشرقة ، تعرفني باقدار الأنصار ، وتريني كيف عزت تربة المدينة على سيدنا محمد ﷺ فكان يرجو ان تكون مثواه ، وان يستقبل في جوها الرفيق الأعلى . وقد استجاب الله دعوته ، وأقر في مراقد العز رفاقته . نعم سرت بخاطري - وانا اخطو فوق هذا الثرى - صورة تاريخية ما أبهاها وأزهاها ، وأكرمها وأغلاها . تلك صورة سيدنا رسول الله ﷺ وهو جالس بعد فتح مكة بين المهاجرين والانصار مظفراً منصوراً . وقد وسع قريشاً

عَفْوُهُ وَرَحْمَتُهُ . وَبِرُّهُ وَحَنَانُهُ .

فاخذ الانصار يتحدثون فيما بينهم ، فيما عسى ان يكون عليه الأمر بعد فتح مكة ، أترى يفضل رسولُ الله ﷺ مكة على المدينة ، بعد ان دانت له ، ونزلت على حكه ، وفيها آله وذووه ؟ أترى شغله بمودة ذوي القربى يصرفه عن دار الهجرة ، ويحبب اليه وطنه الأول ؟ تحدث الانصار بذلك ، واشفقوا منه ، وتسامع به الناس ، وبلغ محمداً ﷺ ، فجمع الانصار ، وأسمعهم الكلمة الكريمة الرحيمة الرقيقة ، قال لهم : - معاذ الله : «المحيا محياكم ، والممات مماتكم» .

أليس هذا الثرى - ثرى المدينة - كان عزيزاً عليه ، كريماً عنده ، أحب ان يلقي لديه الرفيق الأعلى ، فكان له ما احب ، وصار مثوى لرفاته ، أليس من حق هذا الثرى ان نقف دونه متهيئين مكبرين معظمين !

وبينا انا في خواطري هذه أجد صاحبي يلحان عليّ في الحديث معها ، وهما الى جوارى ، ويضج الذي عن يميني : انظر انظر . فعلى يمينك حائط المسجد قد خطت يد الخطاط التركي على صفحته أبداع ما كتب الكاتبون ، وزخرف المفتنون . انظر ، تر سورة الفتح قد نقشت اسطارها كأنما هي قطع من الرياض كسين زهراً ، وانظر اسماء الله الحسنى ، واسماء رسوله ﷺ ، قد وضعت في تقاسيم ومربعات . ليس وراء ما افرغه الفن عليها من اتقان ولا إبداع . قد زين براعة الخط فيها ، جمال الأسماء ، وجلال المسميات .

وقال الذي عن يساري : انظر . هذه الروضة الشريفة عن يمينك . وانها لمحصورة بين القبر والمنبر . وانها التي قال عنها ﷺ ( ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ) . وفيها محرابه ﷺ . ولديها تحدد موضع سجوده . ومكان صلواته . اصغيت الى صاحبي برهة وهما يتحدثان . لكن ناظري لم يتحوّل عن

ركن المقصورة المشرفة . ثم لم ألبث ان وجدتي واقفاً امام كوة في المقصورة لا  
استطيع ان أثبت فيها ناظري . ولا اجسر ان اتقدم نحوها . ولا اقوى على ان  
تمس يدي ما حولها ، واخذني من جلال الحضرة ما اخذني . فسكنت جوارحي ،  
وهدأت نفسي . وكأنا الروح الحمدي الأطهر يملأ جوانب المقصورة ، وتنبعث  
اشعته من تلك الكوة .

كل شيء مما يحيط به يحدثني ، وينفث في روحي : هنا نور النبوة ، هنا  
ضياء الرسالة ، هنا آثار رحمة الله ، هنا ثمار الحكمة الإلهية ، وجماع الاسرار  
الربانية ، من هنا انبعثت النفوس الأبية ، والسواعد القوية ، والعقول الصحيحة ،  
والعقائد السليمة ، والاخلاق المستقيمة ، فأقامت دولة ، شعارها العدل  
والاحسان . من هنا تحقق ان يد الله مع الجماعة ، وان رضوان الله لأهل العمل  
والطاعة .

وبينا انا مستغرق في احاديث نفسي ، واذا بالمزور أو المدعي ، يمسك  
بتلابيبي ويصرخ في وجهي ويقول لي : جول ، السلام عليك يا رسول الله ،  
نشهد ان نبي الله قد بلغ رسالة ربه . قال ذلك فيما يشبه الصياح العالي ، والناس  
من حوله يعيدون ما يلقنهم ، ثم تختلط الاصوات ، ويشد الملقن او المزور في  
اجهاد حنجرتة ، وجهارة صوته ، فأنتبه من إطراقي ، ويحضرني في هذا المقام  
الأدب الإلهي ، الذي أدب الله به الناس ، اذا اقتربوا من حجرات الرسول ﷺ  
او اذا نادوه من وراء الحجرات ، نعم حضرني قوله تعالى :

( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا  
تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم ، وأنتم لا  
تشعرون ) .

(إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) . ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ) .

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) .

وعجبت كيف لا يكون شعار الزيارة: إطراق وخشوع. وإجلال وإكبار. وكيف حالنا وهذه آيات ربنا البينات . وارتفع صوت المؤذن . وهو شاب بخاري ، اتت به الى الحرم نوازع الخير ، ودوافع التقوى . وبالله . ما اعذب صوته . وما احلى نبراته . لكأنما يسكب في الآذان ، ألحان الفراديس . يا الله . وهو يرجع . حي على الصلاة . حي على الفلاح . فلا يدع قلباً الا وقد أفعمته خشية الله . ورجاء الله .

وتحولت في هدوء وسكون الى الروضة الشريفة ، التي هي روضة من رياض الجنة . فلا أكاد أجد قيدَ شبرٍ بل قيد اصبع من شدة الزحام ، فعجبت . ثم تذكرت قول النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري : « يا أبا ذر » ، صلاة في مسجدي هذا تعدل الف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام . وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة الف صلاة في غيره . وأفضل من هذا كله : صلاة يصلها الرجل في بيته حيث لا يراه الا الله عز وجل ، ويرجوها وجه الله .

تذكرت هذا الحديث ، ثم تمكنت من أن يسعني مكان يسير قبالة المحراب النبوي ، وقلت لنفسي :

في هذا المكان ، ترددت الأنفاس الطاهرة الزكية الحمدية ، فعرتني قشعريرة واخذ قلبي يصغي الى أصداء الماضي ، فتذكرت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ

بالمدينة ، فخطب أصحابه خطبته المأثورة : أيها الناس أفسحوا السلام .  
وأطعموا الطعام . وصلوا الأرحام . وصلّوا بالليل والناس نيام . تدخلوا  
الجنة بسلام . «



## إكرام اليتيم ومصارف الزكاة



يقول تعالى وهو أصدق القائلين :

« فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي !! وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ !! . كَلَّا . بَلْ لَا تَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ !! وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ . »

ويقول تباركت أسماؤه :

« فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . »

ويقول تقدست صفاته :

(أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين) .

لقد قرئت علينا تلك الآيات الواعظات ، فأذكرتنا بقصة من قصص  
اليتامى مع بخلاء الأغنياء ...

\*\*\*

### قصة يتيم

بدأت القصة في أوائل رمضان . وختمت فصولها في أواخره . ولقد  
تمت بتامها كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، ووقع الجزاء العادل بالغني الباخل ،  
الذي أهان اليتيم وأعرض عن تدبّر آي الذكر الحكيم ... واليك القصة :  
عرفنا والدًا ظاهرًا النعمة ، موفورًا الثراء ، تنكرت له الأيام في تجارته ،  
فلم يزل يتلقى سهمًا وراء سهم حتى تكاثرت السهام . فتضعفت نفسه ، وخاب  
رجاؤه ، وانتهت أيامه ، تاركًا من خلفه غلامًا في السابعة من عمره ، يقاسي  
ذُلَّ اليتيم ، وآلام الفاقة . وكان في الحي الذي يأوي إليه اليتيم فناء يتصل  
بدار عامرة آهلة ، وصاحبها غنيّ قد أغفل المال قلبه عن ذكر الله !!! وكان  
اليتيم يأوي كثيرًا الى فناء الدار ، يستروح مَرَحمة ، ويتحسس سعادة من يد  
تمسح برأسه أو بَسمة تشيع السرور في نفسه ...

شُهد اليتيم في أوائل رمضان مهيضَ الجناح ، معفّرَ الوجه ، لا يجد من  
يتعهده أو يحنو عليه . وكان يتفرس في وجوه القادمين والرائحين ، فلا يظفر  
بتلك النظرة العاطفة ، ولا يجد من بين المارين انسانًا يسمح عنه الأوصاب ، أو  
يغسل عنه الأحزان . فلما جن عليه الليل أوى الى فناء تلك الدار الآهلة ، يلوذ  
ببعض الجدران ، ويتطلع الى الأنوار تنفذ من صحن الدار . وتشاء الأقدار في  
ليلة من ليالي الشهر أن يتهيا صاحب الدار وهو ثري ذو دنيا عريضة ، وظل  
ممدود ، ونعمة موفورة ، أن يتهيا لركوب سيارته !! وإنه ليجتاز الفناء ،  
اذ بصر بالغلام يدرج في الفناء وبه رعدة من الخوف ، وعليه كآبة تحزُّ في  
القلوب ، وهو لا يتكلم ، ولا يشكو بل تنبعث من نظراته وتضرعاته مرارة  
الفاقة ... وألم البأساء ... فماذا صنع صاحب الثراء ؟؟ ماذا صنع وهو يصوم

النهار ويُحيي الليلَ بقرآن يقرأون كتاب الله في داره؟؟! لقد لَوَى كَشْحَهُ ،  
وأشاح بوجهه ، وانتهر بوابه وصاح فيه ، كيف تسرب هذا الغلام الى هنا؟!  
وأين كنت حتى واجهني هذا الوجه الأغبر؟؟ وما زال بالبواب يعنف في لومه  
ويشتدّ في حسابه ، حتى تجمع حوله الناس ووقفوا يرون لعنة الله تنصب على هذا  
الغنيّ الفاجر ، وهو غاضب نائر .

### لعنة الله

وكان أحدُ الواقفين قد ألم بكل شيء وعرف أن هذا الغني ذا نفس  
خبیثة ، لم يُصلح منها صيام ، ولم يُلن من قسوتها قفى ولا خشوع!!  
فأنذره غضبَ الله وعقابه الذي لا يتخلف!! لكنّ هذا البخيل الذميم  
كان أمةً وحده في التبجح وسوء القالة!! فقد عبس واللوم يقطر من بين  
شفتيه ، وكأما يقول للناس : ان الله يُحِبُّني!! ولهذا أغناني! وأنتم لا تنقمون  
مني غضبي على هذا الغلام ، بل تنقمون مني انني كنت مظهر الرضا الإلهي!!  
ان الذي اختصني بالمال ، ونعمني وأكرمني أراد ذلك لي وحدي!! ولهذا  
فلا شأن لكم عندي ولا تقربون . غير ان لسان الحق كان يرد عليه  
ويصيح به ... « أيها الغني . ان غناك وانت كما ترى لهو نعمةٌ من الله عليك ،  
ابتلاك به ليثقل حسابك ، وليطول شقاؤك ، ولقد حدثنا الله في كتابه  
فوصفك لنا قبل أن نراك ، وأخبر عن حديثك قبل أن نسمعك ، وبين لنا  
انك أنت ومن على شاكلتك تحسبون المالَ لديكم دليلاً لرضاء الله عنكم .  
وانكم قد خُصصتم به دون الناس لمزية فيكم ، أو فضيلة عندهم!! . ولهذا فأنتم  
لا تنتظرون له زوالاً!! ولا تتوقعون له نفاذاً!! . ولا تسألون : أكان ما  
تعاملون به الناس شراً أم خيراً .. جحوداً أم عرفاناً؟! .

أيها الغني الأثيم ، الذي يدعُ هذا اليتيم ، لقد بانت عليك علامة الكفران  
وآذنت نعمتك بالزوال ، وقد استخلفك الله على المال ليلوأك ويختبرك؟؟

أشكره باكرام اليتيم ، وبذل المعروف أم تكفّره بما تقوله الآن ؟ من هذا  
الهديان !!.

جری هذا الحديث ، ثم لم تدُر الأيام دورتها حتى نعي الى هذا الغني  
ابنه الأكبر وهو يتعلم بأوربا ! ثم اشتد الخاض بوحيدته فأسلمت رُوحها بعد  
أن تركت جنينها لا يدري ماذا ينتظره في تلك الحياة !.

ولقد أقيم سرادق المآتم أمام القصر المشيد ، وشرع القارىء يقرأ :

« وليخشَ الذينَ لو تركوا من خلفهم ذريةً ضِعافاً خافوا عليهم  
فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ، .

وهذا اليتيم صاحبُ القصة الواعظة كان لا يزال على عادته يلوذ بأكناف  
المكان ، ويمدُّ بصره في أقطاره !! وكأنه شاهدُ عدلِ الله في أمر هذا الغنيّ  
الفاجر . وسمِعَ الناسَ والمعزُّونَ لسانَ الحال يقول : هذا أول الحساب !!  
وستتوالى الأيام السُّود على مقدار ما أسرف الغنيُّ على نفسه ، وأساء  
الى اليتيم ...

\*\*\*

#### حافظ ابراهيم وصيانة اليتيم

أيها الأغنياء ، يا من يصومون النهار ، ويقطعون الليل يستمعون القرآن ،  
هذه قصة يتيم من اليتامى ، واليكم كيف كان العقاب أسرع من رجوع الحديث ،  
ألا وإن من أحياء نفس يتيم ، فكأنما أحياء الناس جميعاً ...

ويا أيها الأغنياء . ان الشكر على النعم يديهما ، وان جحود الحق الذي  
للسائل والمحروم مؤذنٌ بالزوال ، دافعٌ الى الهاوية ، مسيءٌ الى المجتمع .  
ويرحم الله ( حافظ ابراهيم ) اذ يخاطب المجتمع في أمر اليتيم اذا هو تعهده ،

وأكرمه ، وأصلح نفسه بالبر ، وهدبها بالحكمة ، وغذاها بالاحسان . انه  
يقول :

أنت من يدريك لو أنبتته ؟؟	ربما أطلعتَ بدرأ نيرا
ربما أطلعتَ « سعدياً » آخرأ	يُحكَمُ القولَ ويرقى المنبرا
ربما أطلعتَ منه « عبده »	من حمى الدينَ وزان الأزهرا
ربما أطلعتَ منه شاعرأ	مثل ( شوقي ) ناهياً بين الورى
كم طوى البؤس نفوساً لورعتُ	منبئياً خصباً لكنت جوهرا
كل من أحيأ يتيمأ ضائعأ	حسبه من ربه أن يؤجرا

\*\*\*

### أمراض المجتمع يعالجها الاسلام - مصارف الزكاة

وإذا كانت الشريعة الاسلامية قد عُنيت باسعاد المجتمع ، ورفع شأن  
الانسانية ، بتهديب النفس البشرية ، فهي الى ذلك قد نظرت نظرة فاحصة الى  
أدواء المجتمعات تعالجها ، وتخفف من آلامها حتى لا يتفاقم شرها ، ولا يعضل  
داؤها . وأنت ترى أن الفقر من أدواء المجتمع ، اذا لم يعالج وتلطّف حدته  
بالتشريعات كان وبالاً على الملكية ، وكان خطراً على النفوس .

ان الفقير الحائق الذي لا يجد من المجتمع مواساة ، ولا ترفيها ، قد يعرضه  
الجوع ويدفعه اليأس ، حين لا يجد قلباً ينبض بالخير ، ولا يداً تمتد بالاحسان .  
ويا ويل المجتمع من سورة الفقير المحروم !! ويا شدة ما يفعل الحقدُ بالأرواح  
البريئة ! . من أجل هذا فرّضت الشريعة الاسلامية ( الزكاة ) تؤخذ من الأغنياء  
فترد على الفقراء ، ثم حددت مصارف الزكاة تحديداً يكفل للمجتمع السعادة  
ويقوم دعائمها على أسس ثابتة . يقول تبارك وتعالى :

« انما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملينَ عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقابِ والغارمين وفي سبيلِ الله وابنِ السبيلِ » .

بُدِئت مصارف الزكاة بصنف الفقير ، ولعلك تعرف أن الفقير في اللغة هو المكسور الفقار !! فانظر لهذا الانسان الذي يشركنا في الانسانية ثم هو لا يجد ما يقيم ظهره . انه يصبح رمزاً على ناحية مريضة من المجتمع . وكلما تضاعف عدد الفقراء تضاعف النقص في نواحي المجتمع وابتعد عن الكمال الذي تنشده المجتمعات . ولسنا في حاجة لأن نشرح الفقير وأن نحدد المسكين كما يفعل الفقهاء ، ويختلفون في التعريف فيقولون : الفقير من لا مال له ، ولا حرفة تسد حاجته ، والمسكين من له مال وحرفة لكنها لا تسدان حاجته . لا . نحن لا نمضي في هذا السبيل ، فكلنا يعرف من هو الفقير ، ومن هو المسكين ...

ورسول الله ﷺ كان يدع الى ضمير المسلم تعرف البير . فلقد سئل ما البر ؟ . فقال للسائل : استفت قلبك ! غير أننا نلمح اشارة خطيرة في تقديم صنفى الفقراء والمساكين على غيرهما من الأصناف التي حددتها الآية . وبينهم الجبابة - العاملون عليها - وهم الذين تقوم عليهم النظم ، وتؤسسُ بهم الحكومات . ذلك أن أي نظام مهما أحكم وضعه ، وأية حكومة مهما علا نوعها ، اذا لم تعالج أولاً داء الفقير ، وتستل سخائم الفقراء ، كان قصارها انحلال واضطراب .

\*\*\*

وقد رأى رسول الله ﷺ فقيراً ينظر اليه وهو يأكل فاقتطع له لقيماً ، والتفت الى الصحابة وقال : اتقوا سمّ الأعين ! فهل علم المسلمون أن رسولهم ﷺ يُحدث أن للأعين سمّاً؟ نعم . بها سمّ معنويٌ أفعال من السم الذي يداوي بالترياق . انه سم يسرى في جسم المجتمع فيمرض من كيانه ، ويفتت من

أجزائه ، انه سم الحقد . سم الاحن . سم الضغينة . ولا دواء له الا  
بالزكاة ...

\*\*\*

### عمال الزكاة

ثم نظرت الشريعة السمحة بعد هذا الى صنف ثالث وهو الذي اشرنا الى  
أهميته من قبل ، وهو ينتظم الجبابة والعمال وأصحاب الدواوين الذين يجمعون  
الزكاة ويسوقونها الى بيت المال ، ويقومون على تقسيمها بين مستحقيها . وهؤلاء  
هم عمدة الحكومات ، وحفظة النظام ، فاذا لم يُحدد لهم قسطهم مما يعملون ،  
كانت الفوضى في أشع صورها . فلقد تمتد أعينهم - اذا لم تحدد أنصبتهم -  
الى ما في بيت المال ، فيصبح نهباً ، ويؤخذ سرقاً ، ما دام جزاؤهم غير  
محدد ، وما داموا هم يقلّبون الأموال في أيديهم ويعملون على جمعها  
في بيتها ...

ولقد يقعد بهم الامل ، فلا ينشطون لجمع الصدقات من الأغنياء ، ركوناً  
الى أنه لا ينالهم على عملهم أجر ولا جزاء . فكانت حكمة عالية أن يفرض الله  
نصيباً من الزكاة لكل عامل عليها ، جاب لها ، منظم لتوزيعها .

\*\*\*

### المؤلفة قلوبهم

وننتقل الى صنف آخر من مصارف الزكاة . هو صنف ( المؤلفة قلوبهم ) .  
فلقد نرى الرجل لا بأس بعقله وفهمه ، يترك ماله وذخره ، ثم يأتي معتقاً  
للعقيدة الصالحة طيبة بها نفسه ، ولكنه ينظر فيرى فرقاً ما بين حاضره  
وماضيه . لقد كان بين أهله في كثير من المال ، فصار بعد أن فارقه في قُلِّ

منه ... أو ليس من صلاح المجتمع الذي انتفع بعقل الرجل ، واعتز بشخصه أن يرفته عنه بعض الترفيه ، حتى يندمج في البيئة الجديدة ، ويجد أسباب المعيشة بينها ؟ أليس من صلاح المجتمع أن يؤلف قلبه على ما اعتقده حقاً وصواباً من العقيدة الطاهرة ، حتى لا تنفر النفوس من المجتمع الجديد الذي يتألف ويتكون . نعم ، ان ذلك سننُ المجتمعات الناشئة وذلك نهجُ البر ، وسبيلُ الخير .

\*\*\*

### تحرير العبيد

يجيء بعد ذلك صنف ( الأرقاء ) الذين سلبوا الحرية . وفقدوا الأهلية . جاء الاسلام والرق فاش منتشر . فرغَّب في الاعتاق ، وفك قيود الانسانية العانية . ولقد أكثرت الشريعة الاسلامية من التشريعات التي تعالج هذا النقص ، وتحصر الرق في أضيق الحدود . وكان من أسمى ما ذكره القرآن أنه جعل سبيل السعادة لكل مؤمن أن يقتحم عقبة كبرى . وما هي تلك العقبة التي تقف بين السعادة الأبدية ، وبين النفس البشرية ؟؟ انها فك رقبة عانية ، انها منح الحرية لرقيق مستعبد ، أو احياء نفس أماتها الفقير أو اليتيم .

نعم حرَّض الله المؤمنين على اقتحام العقبة في أسلوب قوي حازم لا يدع مسلماً مالكا لعبد الا وهو مسارع الى عتقه ، يقول تعالى :

« فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة ؟؟ فك رقبة ،  
أو إطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً

ذا مرتبة . . .

وانظر كيف جعل الله سبحانه وتعالى العقبة التي تقف في طريق السعادة ذات شعاب يستطيع المؤمن أن يقتحمها من نواحيها . فمن شعابها فك الرقاب . أو إطعام اليتيم من ذوي القربى ، والمسكين اللصيق بالتراب من العوز والفاقة ...

\*\*\*

أعانة المثقلين بالديون

وهناك صنف آخر جُعِلَ له نصيبٌ في الزكاة ، ذلك الصنف هو ( الغارم ) الذي أثقله الدين ولزمه أدائه ، وقد يكون هذا الصنف قد غرِمَ ماله في سبيل إصلاح ذات البين والتوفيق بين المتنازعين ! وان من الخير للمجتمع أن يُشجع الشارع هؤلاء الذين يعاونون على الإصلاح ، ويفضون الخلافات بين الجماعات . لهذا شرع لهم القرآن نصيباً في الزكاة ...

\*\*\*

المسافرون الذين أعيام السفر

فاذا انتظم المجتمع بعد ذلك كله وكمَلتْ نواحيه ، وكان من مظاهر رقيه أن يمر به ( ابن السبيل ) المسافر ، فيجد في جنباته سهماً يتبلغ به الى وطنه ، ويصل به ما انقطع في طريقه ، فقد يكون زادُه 'فقيد' ، أو راحلته عجزت وكتت ، وهو بعد على سفر ...  
فهذه الأصناف تكل نواحي المجتمع ، وتجعله متمسكاً ، يشد بعضه بعضاً .

\*\*\*

لقد شفى الله بالزكاة نفوس المسلمين ، وأصلح بمصارفها جماعة المؤمنين ،  
وجعل مجتمعمهم بفضل تحديد تلك المصارف أرقى المجتمعات ، وتبوع أصناف  
المجتمع كلها ، فجعل لكل نصيباً مفروضاً ...

\*\*\*

وبعد ، فما على المسلمين اليوم إلا ان يذكروا ، ويتدبروا ، فان ما شرعه  
لهم كتابهم حري بأن يجعلهم خير أمة أخرجت للناس ..

\*\*\*

## حق المجتمع وحق الفرد في الاسلام

عظات من الماضي للحاضر



كان لنا رفيق مسلم ، حقوقي ، تخرج في الشرائع وحقق الاجتماعيات وتروى من علم التقنين وجمال في التراث العلمي للرومان واليونان - غير ان شريعة واحدة واجتماعاً واحداً لم يظفر منه الاً بحسوة طائرة ما شفت لهذا « المثقف » غليلاً ولا بلت له عرقاً . تلك الشريعة هي الاسلامية ، وهذا الاجتماع هو الاسلامي . فكنا كلما تلاقينا في ملاً من الاخوان راح يشيد بنظرياته الاجتماعية الحديثة ، ويطلع الناس على آثارها في المجتمع الانساني . فإذا ما اشتبكت الاحاديث ودار النقاش وشاء بعضنا ان يدير المناقشة دورة اسلامية تاريخية ، كبر على المسلم الحقوقي ان يستمع أو يعي او ينتفع . ولقد كان فيه بقية من حياء تحجزه ان يحدد ما لا يعرف عن الاسلام ، فكان اذا سمع بعظمة من عظام المجتمع الاسلامي لم يزد على ان ينقطع هو عن الحديث ويدع لغيره ان يتكلم . فلما اجتمعنا بالأمس جرى حديث في حقوق المجتمع وحقوق الافراد فقال قائل :

« ان حق المجتمع على الفرد لم يتقرر احكم ولا اشمل ولا انزه مما قرره الاسلام . وما كاد ينتهي القائل الى هذا المقطع حتى قاطعه الحقوقي المفتون وصاح فيه : « ما سمعنا ولا علمنا ان حقوق المجتمع قد تقررت واضحة شاملة قبل التشريع الحديث وقيل ان يبرز « روسو » نظرية العقد الاجتماعي » ثم أراد ان يعين في

الغرور فقال : « وليس مما يشرف الاسلام كثيراً ان تقحموا فيه كل نظرية وكل تقنين فهو دين وحسب . وأين رأيتم في المبادئ الدينية ما يقرر ان عدوان الفرد على غيره هو - في الحق - عدوان على المجتمع كله ؟ بل أين قرأتم في كتبكم ان من حق المجتمع ان يقتص من الجاني ولو سماحه المجني عليه ؟ » . هنا غضب الحاضرون وأرادوا ليقفوا هذا الاسلوب الخاطيء ويصدوه عن عدوانه . غير ان واحداً من الحاضرين كان رزين المشهد له اغضاء وفيه وأناة تجذبان اليه الاسماع والابصار وقد عرف بالبحث الهادىء المنسق المرتب وهو فسيح الصدر بعيد الغضب عارف بتصريف الأمور ونزوات النفوس . فقال لصاحبنا : « إني لا أحزن منك ولكن احزن عليك وارثي لك !! فليس يضير المبادئ الاسلامية وليس يمحوها أنك لم تسمع بها ولم تعرفها ولعلي مسمعك بعض ما غاب عنك ولعلك تعرف في شرعة الانصاف ان يكن قضاؤك وحكمك من علم و يقين . استمع يا صاحبي : - ان الاسلام دين جاء لسعادة الانسان في حياته الدنيا والاخرى ولقد عني بحق المجتمع عناية ما عرفت من قبله ولا ظهرت من بعده ، الا "مقتبسة منه صادرة عنه . وسأعجلك فأضع اصبعك على ما ضربته أنت لنا مثلاً لتقوم عليك الحجة من كتاب الله .

يقول تعالى : - مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ  
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ  
أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .

فهل جاء في كتب الشرائع ونظم الاجتماع صورة " للصلات الاجتماعية اشمل وادق واحكم من ذلك ؟ ان المشرع الاسلامي قد نظر الى النوع البشري على اعتبار كونه وحدة تتألف من افراد وان هناك رباطاً وثيقاً قد انتظم افراد النوع الانساني على تنائي اوطانهم واختلاف اجناسهم وتباين شعوبهم ثم جعل كل عدوان فردي عدواناً على النوع جميعه . هكذا كان النظر الاسلامي العالي الى

المجتمع نظراً واحداً شاملاً . فلم يقتصر على مجتمع خاص ولا على وطن بعينه ،  
أو لست يا صاحبي تتمثل العالم قد انطوى في تلك الآية الموجزة ، تتمثله كشبكة  
ملأى بالعيون حيكت بيد صناع فاذا دب الفساد في واحدة منها فقد وهن  
نسيجها وانتقض غزلها وتقطعت صلاتها ولم تمسك بعد على شيء فيها .

أية علاقة توجب حق المجتمع يستطيع الفيلسوف أو المشرع ان يبرزها على  
هذا المثال . بل أي جنان وأي لسان ؟ وأي معنى - وراء ذلك يبين للناس  
انهم وإن بعدوا متصلون وانهم وإن تناءوا مرتبطون وأن ازهاق نفس بغير حق  
ولو كانت في الصين هو افناء وقتل للنوع جميعه عربيه وهنديه وفرنجيه وامريكيه .  
وانت يا صاحبي فقد ترى ايضاً كم من نفوس يقتلها الجهل وفي قتلها قتل للناس  
اجمعين وكم من نفوس يحييها العلم والفضيلة وفي حياتها إحياء للناس اجمعين . كل هذا  
تننظمه الآية الكريمة البليغة الجامعة بمعانيها ومراميها .

ويا صاحبنا الآن وقد شاء القدر ان يضربك مثلاً للآخرين في أنهم اعداء ما  
جهلوا فاستمع بعض ما يلقي عليك تر الاسلام قد امتدت فطرته الى المجتمع من  
أطرافه فراح يكتنفه ويتعمده ويرعاه ويعنى به ويقرر حقوقه ويتقاضى الافراد  
واجباتهم نحوه لكي تكتمل له السعادة ويرف على جنباته النعيم وذلك في براعة  
وكلمة ليس الا "الإسلام وحده الحري" بها وليست الا " آيات القرآن مبعثاً لها ،  
لانه تنزيل من حكيم حميد .

لم يعرف الافراد في مجتمعهم الاسلامي الا أنهم بناء للنظام الاجتماعي وأدوات  
في صرحه العالي وعمد في جذره الشامخ ، فكل مسلم مطالب بان يهذب نفسه  
ويقوي خلقه ويحسد ويدأب ليتحول ذلك كله نفعاً خالصاً للمجتمع وتدعيماً  
لحائطه وصيانة لأساسه . لم يعرف الفرد الاسلامي لنفسه قوة ولا حياة ولا  
نباهة شأن ولا عزة الا وهي مقتبسة من المجتمع الاسلامي وان مردها اليه .  
فكل خير يأتيه من ناحية المجتمع انما هو اضعاف الخير يأتيه من ناحية ذاتيته

ولقد خرجت تلك المباديء رجالاً شرفت بهم الانسانية واعتزت الاجتماعية .  
وسأقص عليك مثلاً لعله اظهر ما يكون البرهان على فناء الفرد المسلم في خير  
المجتمع الاسلامي .

كان خالد بن الوليد في جلاله شأنه وسيادة اصله وشرف منبته يسامي عمر  
ابن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنها . وكان خالد الى ذلك بعيد الصيت في  
الوقائع والحروب شديد المنزلة في قلوب الجنود يحبونه حباً جماً ويفدونهم بانفسهم .  
وكان على رأس الجيوش الاسلامية في حصار دمشق ومن تحت امرته ابو عبيدة  
ابن الجراح . رأى أمير المؤمنين عمر أن من السياسة الرشيدة تقليد امارة الجيش  
لابي عبيدة ونزعها من خالد . فكتب بذلك وابلغه إلى أبي عبيدة وأمره بنشر  
هذا على الجنود وان يعتقل خالداً بعمامته ويحاسبه على ما كان منه في امارته .  
فتخرج ابو عبيدة من الأمر لأن الجيش كان في ساعاته الحاسمة والجنود مفتونون  
بخالد والنصر تلوح معالمة وخالد هو خالد سيف الله المسلول وسيد بني مخزوم .  
فلما أبطأ الأمر على عمر وأيقن - مخلصاً - أن الناس قد فتنوا بخالد وأن اهل  
الشام يوشك ان يقدسوه وان المجتمع قد يتصدع اذا ما بقي خالد متألق النجم .  
فاعجل أبا عبيدة مرة اخرى فلم يسعه الا ان يقرأ كتاب عمر ولكنه ابى ان  
يحاسبه فقام بلال الحبشي وهو من فقراء العتقاء واخذ بعمامة خالد فاعتقله بها  
وسأله عما أمر به عمر فأطاع خاضعاً واجاب داعي الخليفة ثم عمل تحت امره  
ابي عبيدة جندياً حتى تم الفتح فارتحل الى حمص وخطب هناك مودعاً جنده  
وتحمل قافلاً الى المدينة فلما لقي عمر قال له : والله يا عمر انك في امري غير مجمل .  
فقال يا خالد والله انك عليّ لكريم وانك الحر الحسيب ولن تعاتبني بعد اليوم  
على شيء . ثم كتب الى الأمصار : اني لم اعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ،  
ولكن الناس فتنوا به فخفت ان ياكلوا اليه وان يُبتلوا به .

من تلك القصة الخالدة ترى الى أي حد بلغ فناء الافراد في خير المجتمعات .  
خالد لم يأثم وقد استغضب وقد يستطيع غير خالد ومن هو في منزلته ان يقف غير

هذا الموقف وهو في أوج مجده فيخلع الطاعة ويشق العصا ويستقل يجند تقديه  
وتحميه . لكن خالد أقد أعرقت فيه المبادئ الاسلامية فرأى نفسه - وان  
جل وعظم - فهو فرد من المجتمع الاسلامي وانه ما عمل وما يعمل الا الخير  
المجتمع ولصيانتته من الفرقة . وان عمر ما صنع صنيعه الا الخير هذا المجتمع . فقام  
خالد الأمر وتضاءل شخصه الجليل أمام عظمة الوحدة الاجتماعية الاسلامية .

واعلم - يا صاحبنا - ان سلامة المجتمع والخوف من نزوات الافراد كانت  
توحي الى أولياء الأمور ان يشتدوا ما وجبت الشدة .

ويا صاحبي لقد بلغ من حب هؤلاء لمجتمعهم ومعرفتهم لحقوقه وتقديتهم له  
بالنفس والمال ما لا يزال برهاناً ساطعاً على ان الاجتماعية الاسلامية سيطرت على  
مشاعرهم فنبذوا شهوات نفوسهم وخلعوا أنانيتهم وراحوا يؤثرون على انفسهم  
ولو كان بهم خصاصة . نعم لقد انتجت الاجتماعية الاسلامية خلقاً قوياً بعيد  
المدى من ايثار عجيب يدرك ويحس الروابط الاجتماعية على صورة بليغة  
نادرة . انظر الى انكار الذات في حياة المجتمع اذ أمر رسول الله ﷺ أسامة بن  
زيد على الجيش وهو لم يتجاوز السابعة عشرة وفي الجيش ابو بكر وعمر وابو  
عبيده وسعد . فلم يبد من احد تبرم ولا تسخط علماً بان صلاح المجتمع ونجاح  
الأمر في اتباع تلك الحكمة الاجتماعية . فلقد قتل زيد أبو أسامة وهو يحارب .  
فقال له عليه السلام : سر الى موضع أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك هذا  
الجيش . ولما مات عليه السلام والجيش متأهب للمسير لم تتحرك نوازع النفوس  
الى انتقاد ما رسمه عليه السلام . بل خرج ابو بكر وهو خليفة المسلمين فقال له  
اسامة : يا خليفة رسول الله لتر كبن أو لأنزلن . فقال : والله لا نزلت ولا ركبت  
وما علي ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله ؟

انظر ما هذا النظام الحكيم وما هذا النصح الاجتماعي البديع وما تلك  
النفوس الكبيرة في تواضعها المشرعة في اجتماعياتها . واستمع الى حديث من

احاديث الايثار ما نماه وفداه وحببه الى النفوس الايمان بحق المجتمع .  
كانت أسرة علي بن ابي طالب قد اصابتها «محصنة» أي شدة جوع فأخذ  
علي من بعض اليهود صوفاً لتغزله فاطمة الزهراء واجرها على الغزل ثلاثة أصع من  
شعير . فغزلت أول يوم شيئاً منه وطحنت وخبزت فلما أرادوا الأكل طرق  
بابهم مسكين . وقال السلام عليكم أهل بيت النبوة ، انا مسكين من مساكين  
الامة . اطعموني شيئاً فدفعوا اليه الاقراص . وفي اليوم الثاني جاءهم يتيم فدفعوا  
اليه الاقراص . وفي اليوم الثالث جاءهم أسير فدفعوا الاقراص وبقوا على الماء .  
فشرف الله هذا الصنيع وهذا الايثار وهذا الفداء الاجتماعي ، وهذا الإحياء  
للانفس بالثناء الخالد في قوله تعالى : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً  
وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً» .

هكذا كان أداء الواجب الاجتماعي وهكذا كان الاحتفال بإسعاد المجتمع .  
فاذا رأيت يا صاحبنا ما يبهرك من أصل اجتماعي أو فكرة تشريعية فارفع  
بصرك الى الإسلام ، سل أهل الذكر ، ارجع الى كتاب الله . فانك واجد اصول  
الفضائل وماخذ الخير الاجتماعي - انك واجد انزه الحقوق ، واقدس الواجبات :

«وَمَا فرطنا في الكتاب من شيء»

\*\*\*

عدل الله نافذ  
في الأفراد والامم

يقول الحق عزت آياته :

( إن الله لا يظلمُ مثقالَ ذرةٍ ، وإن تكُ حسنةً يضاعفها ، ويؤتِ  
من لده أجرًا عظيمًا ) .

فعدل الله نافذ ، وجزاؤه في الأفراد والامم واقع ، ما له من دافع ، فهو  
سبحانه أحكم الحاكمين ، يثيب المحسن بإحسانه ، ويمجزي المسيء بإساءته ، لا  
ينقص أحداً من أجر عمله شيئاً ، كبر أم صغر ، حتى ولو كان الشر أو الخير  
مثقال ذرة ، مقدار الذرة ، وهي أصغر ما يدركه الإنسان من الأجسام .

ومن آثار رحمة الله ، أن مقدار الذرة من الشر يجازى بمقداره شرّاً لا يزيد ،  
ومقدار الذرة من الخير يجزى بمقدار أزيد هو عشر أمثاله ، بل قد يضاعفه الله  
أضعافاً كثيرة ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ  
فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) ( مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ الله  
قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ) .

ان ذلك من الله سنن لا يتغير ولا يتبدل ، وهو رحمة وعدل ، وسخاء  
وفضل :

\*\*\*

ولقد ثبت في العقول وحق في كتاب الله ، انه لا يستوي محسن ومسيء ،  
ولا مطيع وعاص .

( أم نجعل الذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كالمفسدين في الأرض ، أم  
نجعل المتقين كالفجار ) . ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات ، أن  
نجعلهم كالذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سواء محياهم ومماتهم ؛ ساء ما  
يحكمون ) .

ولقد جرت حكمة الله ، وسننه في خلقه ، أن جزاء الأفراد على أعمالهم ،  
قد يتأخر ( ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ،  
ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ) ( وجعلنا لهم موعدا ) يتأخر الجزاء  
حتى يبين موعده ، الذي تتحقق فيه حكمة الله ، وإذا لم تتسع حياة الأفراد  
لإدراك الجزاء في هذه الدنيا ، لأن مدة العمر وإن طالت قصيرة ، فسيجد كل  
فرد أعماله في دار الجزاء حاضرة لديه ، وجوارحه شاهدة عليه ( يوم تجد  
كل نفس ما عملت من خيرٍ مُحضراً ، وما عملت من سوءٍ تودُّ لو  
أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ) ( ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأختر ) .

\*\*\*

وإذا كان أمر الجزاء للأفراد يجري على ناموس من الحكمة والنظام ، وأنه  
قد يكون إرجاء وإمهال ، لا ترك وإهمال - إذا كان الأمر كذلك - فإن جزاء  
الأمم والشعوب على أعمالها ، وعقاب المدن والقرى على آثامها ، يجري على  
ناموس إلهي آخر ، هو وقوع الجزاء حتماً في هذه الدنيا ، وحلول العقاب  
الوشيك ، وتحقيقاً للعدل والسنن والنظام الذي قامت عليه السموات والأرض .  
فأما عنت عن أمر ربها وامعنت في الترف والفسوق والعصيان ، وأما  
شعب المخرف عن النواميس الصالحة للعمران ، وأما مدينة أو قرية فشا فيها

الشر واشترت المآثم ، وأيما مجتمع جاوز حدود الحق ، وسكت عن المنكر ،  
 وامتسنت فيه الكرامة الانسانية ، وساد فيه البغي والظلم والطغيان - أيما هؤلاء  
 كان فقد وقع عليه جزاء الله لا محالة وإن عظمت في الظاهر قوة الأمم ،  
 وأن كثر عديدها ، وإن فرحت بما عندها من العلم ، يقول الحق تعالت آياته :  
 ( أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
 كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ ، وَأَشَدَّ قُوَّةً ، وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ ، فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا  
 كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ - بحقائق النواميس والبراهين  
 الإلهية - فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ - العلم الآلي الذي لا يهذب نفساً  
 ولا يجلب خيراً - وحقَّ بهم ما كانوا به يستهزؤون ، فلما رأوا بأسنا  
 - العذاب والانتقام في الدنيا - قالوا آمنا باللهِ وحدهُ ، وكفَرْنَا بما كنا  
 به مشركين - منهم من يعبد المال ، ومنهم من يعبد القوة ، ومنهم من يعبد  
 الأهواء والأوهام - فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ  
 خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ - الكافرون بالحق  
 وبالفضيلة - ( سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ) .  
 ويقول الحق في وصف الميراث الذي خلفه الظالمون ، بعد أن اخذهم عدل  
 الله في الدنيا ، لأن أعمالهم ومآثمهم كانت عامة شاملة لا تحتمل الإرجاء ( كم  
 تركوا من جناتٍ وعيونٍ ، وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ،  
 كذلك ، وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما  
 كانوا منظرين ) .

ويبين الله تعالى أن للأمم آجالاً كآجال الأفراد ، وأن الأمراض الاجتماعية ،

من تقاطع وتخاذل ، هي التي تسرع في افناء الأمم ، وتدفع بها الى نهايتها ، الى الأجل الذي حدده ناموس الله (ولكلّ أمةٍ أجلٌ ، فإذا جاء أجلهم ، لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون ) .

هذا هدى الله ، وهذا سنن الله ، في عقاب الامم ، وجزاء الشعوب ، اذا ما فشا الفساد فيها ، وعم التقاطع بينها ، ودام التخاذل والتنابد ، والشقاق والنفاق ، وانحرفت عن سنن الحق ، فإما ان يسلم الله عليها أحداث الكون ، وآفات الدنيا من خوف وجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات ، وحروب مبيدات ، وإما أن يذل الله تلك الأمم ، على أيدي عباد له أولي بأس شديد ، فتبدد قواها . وتذهب ريحها . وإنا لنضرع إلى أرحم الراحمين كما ضرع اليه أمير الشعراء شوقي رحمة الله عليه :

وقى الأرض شرّ مقاديره      لطيف السماء ورحمانها

\*\*\*

## القضاء والقدر



شاعت في الناس شائعة آثمة ، تلك ان عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ،  
انما هي مطية الخنوع والاستسلام ، وباعثة الوهن والاستكانة والتواكل والعجز  
عند عامة المسلمين .

فالرجل يسام الخسف، ويتجرع الذل، ثم يقول هكذا أراد القدر لي؟ والرجل  
يقتله العجز ويروعه الجبن والبخل ، وهو يقول ، هكذا كتب الله علي . وكل  
هذا منكر من القول وزور ، وتخاليط بأباها كتاب الله ، وتنكرها سير السلف  
الصالح ، وتاريخ الأمة الاسلامية ، التي كانت تؤمن بالقضاء والقدر ، ثم هي مع  
ذلك كانت تتركب الاهوال ، وتجالد الاخطار ، وتدوخ الممالك ، وتشيد معاقلها  
فوق قنن الجبال ، وكان أفرادها - ولهم تلك العقيدة ، عقيدة الايمان بالقضاء  
والقدر - لا يستكينون عند المصائب ، ولا ينسون انفسهم عند النعماء ، فلا  
يبطروهم الغنى والنجاح ، ولا ييئسهم الفشل ، اذا فشلوا أو اخفقوا ، بل كانوا  
يتخذون من تلك العقيدة عوناً من الله يخفف كوارث الحياة اذا ألمت ، كما  
يتخذون منها تذكيراً بالله ونعمته ، اذا اقبلت الدنيا ، وسامت الأيام . كما  
يتخذون منها عدة لاقتحام الاهوال ، ودرعاً للدأب والكد والاستبسال .

\*\*\*

ان عقيدة ( القضاء والقدر ) - سليمة - صحيحة - مفهومة - على وجهها الحق -

هي من اسمى العقائد، التي تبعث السمو والسخاء والشجاعة والبسالة والاقدام ، وهي ناسجة الأمل الفسح ، وطاردة لليأس المميت ، وبانية للرجاء المتصل المعقود . والرجل الذي لا يؤمن بقضاء الله ، ولا يثق بحكمة الله اذا ما وقعت به مصيبة أو حلت به كارثة ، قتل نفسه هما وحزناً ، ويأساً وخوراً . والناس اما جاهل بحقيقة تلك العقيدة فهو عاجز مستكين ، وإما جاحد فهو متمرد ساخط باخع نفسه . والحق أن عقيدة القضاء والقدر عقيدة ترشد اليها الفطرة ، وينبه اليها الواقع ، فالحادثة تقع في الكون ، وهي ذات مقدمات وعلل واسباب تنحدر من الزمان الغابر ، لا يهينها ولا يجلبها لوقتها إلا علام الغيوب وأحكم الحاكمين . وليست هاتيك العلل والاسباب والملابسات تتكشف للإنسان العاجز الضعيف ، فهو امام أحداث الدنيا ، يعتصم بقضاء الله ، ويأمل في قدره ، فيتأسك ولا يتخاذل ، وينهض ولا يتعثر ، وقد يكون بعد الحزن سرور ، وبعد الترح فرح ، وان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا .

\*\*\*

وليست عقيدة القضاء والقدر غلاً في الاعناق ، ولا قيداً في الارجل ، ولا كابوساً على النفوس ، وانما هي آية النشاط الوثاب ، ومنهضة الامم ، وحافزة الشعوب . ولنرجع اليها في مراجعها الواضحة ومواردها الصافية ، وهي آيات بينات ، جاء بها القرآن الكريم . وابرز الآيات التي تقرر ( عقيدة القضاء والقدر ) هي آية سورة الحديد ، فهي تبين معناها ، وتوضح حكمتها من غير ما لبس ولا غموض ، يقول عزت حكمته : ( ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد . )

اذن حكمة الاعتقاد (بالقضاء والقدر) هي طرد اليأس والحزن والضجر ، اذا ما جاءت أحداث الدنيا ، أو وقعت شؤون الحياة على غير ما يحب الانسان ويهوى ، فقد يكون في طي المصاب نعمة ، وأية نعمة ؟ وقد يكون في طي النعمة مصيبة وأية مصيبة ؟ والامثال ماثلة ، وما يعقلها الا العالمون .

أليست الآية الكريمة 'تهيب بالناس' ، اذ كانت آجالهم محدودة ، وانفاسهم معدودة ، والامور بيد الله ، يصرفها كيف شاء ، ففيم الأسف على الفاتت ، وفيم الاستنامة الى الحاضر ؟ كيف يرهب الموت صاحب العقيدة ، وهو يدافع عن حقه ، او يناضل في سبيل مجده ، وكيف يخشى الفقر اذا أنفق في سبيل الخير ، وفي اسعاد الخلق ؟

هذا الاعتقاد هو الذي كون ( الشجاعة الاسلامية ) وجعلها تطير مع الدعوة في الآفاق ، فتلقي الرعب في قلوب الاعداء . ولقد كان قائد المسلمين الاكبر ، محمد ﷺ يعتم ( بالقضاء والقدر ) فيضرب للناس امثالاً خالدة في الاستبسال والثبات وانتزاع النصر للحق من بين احلاف الباطل .

\*\*\*

كان عليه السلام واقفاً يوم ( أحد ) وقد تفرق الناس من حوله ، وارجف بعضهم بموته ، ورماه رام فجرح وجنته ، وأنشب حديدة في ثنيتيه ، فلما نزعته ، نزعته معها ثنيتاه الشريفتان ، فنزف دمه الزكي ، وهو مع هذه الشدائد ، لا يولي ظهره ، ولا يفكر الا في ان يعلو من الجبل المكان الارفع الذي يحتله الاعداء ، فهو عليه السلام في الساعة الحازبة الآزمة ينهض متمسكاً ، وهو يقول : لا ينبغي للاعداء ان يعلو مكانهم على مكاننا ، اللهم لا قوة لنا الا بك .

وما زال يجمع اشتات المتفرقين ويدفع في ظهور أعدائه ، حتى نصره الله

وأعز جانبه .

وهذه ( عقيدة القضاء والقدر ) قد جعلت المرأة الاسلامية تبذل اقصى انواع الجود في سبيل صيانة العقيدة ، صيانة الحق ، صيانة الكرامة .

ان اعظم الجود ، واعز السخاء ، ترك الانسان داره ووطنه وماله واهله ، هجرة بدينه ، واعتصاماً بقضاء الله وقدره .

شوهدت امرأة مسلمة ، تركت بغيرها ، في هجرتها الى الحبشة ، فسألها رجل من المشركين : - وانت الى ابن يا أم عبد الله ؟ فقالت : - لقد آذيتمونا في ديننا فسندهب في ارض الله حيث لا تؤذى . وما ابرعها ، وقد فقهت المعنى القرآني السامي :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . »

فلم ترض لنفسها ان تقيم في مكان مستضعفة ذليلة .

\*\*\*

لقد أعز الله تعالى المسلمين ، حين اعتزوا بعقيدة القضاء والقدر ، وظفروا بأسعد ثمارها ، يقول تعالى : ( الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ، فأخشوهم ، فزادهم ايماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ) .

الا نعم الاعتقاد يطهر النفوس الانسانية من رذيلة الجبن ، ويدفع بها في

ميادين المجد والعزة . ويطهرها من رذيلة البخل ، لتسعد هي ، وتسعد الناس  
بالبذل والاحسان والسخاء .

تلك اثاره من عقيدة القضاء والقدر ، كلها فضائل ومحامد ، ومعها شواهدا  
من ايام السلف الصالح ، ومعها ايام الله ، وها نحن ، وها هو حاضرنا . فنرجو  
أن نعتصم بعقيدة القضاء والقدر ، ونقتحم ميادين الحياة ، فعسى الله ان  
يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده ، وعسى أن نكون خير خلف لخير سلف .

\* \* \*

## حق الفرد على المجتمع

### القرآن الكريم يقرر العدالة الاجتماعية



يهيب بنا خالق الكون ، واهب الوجود ، وهو اصدق القائلين :

( قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) .

هذا النور هو ضياء الاسلام ، وذلك الكتاب هو القرآن الحكيم ، ورضوان الله ، ما رضىه الله وبيته في آياته المحكمات ( سبل السلام ) طرق الأمن والرضا ، والطمأنينة والسعادة ، التي تكفل للناس ان يعيشوا آمنين راضين متعاونين متحابين ، يتعرف المجتمع حق الفرد ويؤديه اليه . اما اذا جهل المجتمع أو تجاهل حق الفرد ، وجحد ما عليه له من واجبات ، فاذا ان من الله - عندئذ - أن هذا المجتمع هالك ، وان الناس بعضهم لبعض عدو ، يقول تقدست ذاته : ( وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَأَحْسِنُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) . فما ابلغها حكمة ، وما اصدقها قضية ! إن ترك الانفاق في سبيل

الله ، في سبيل الخير العام ، في سبيل اسعاد المجتمع ، انما هو جحود لحق الافراد ، وانما هو اللقاء بالمجتمع الى الفوضى ، الى ( التهلكة ) . وانها لاشارة بليغة ، الى ما للاحسان والبر ، من صيانة للمجتمعات ، ووقاية للنظم من العبث بها ، والخروج عليها ، كل هذا يتجلى في صياغة الآية الكريمة ، اذ قرن الامر بالانفاق في سبيل الله مطلقاً شاملاً الى النهي عن اهلاك الناس انفسهم بأيديهم ، اذا هم بخلوا ، وغتّلوا ايديهم عن الاحسان ، فكانما سبيل الامن والسلام هو الاحسان المطلق الى الافراد ، فهو الذي يذهب الاحقاد ، ويميت البغضاء ويبعث الإخاء .

ويقرر الكتاب العزيز ان للآدمي كرامة ، وله حرمة ، فهو يرسل الآية التي تسجل شرافة هذا الآدمي ، وعراقة أصله اذ يقول تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » .

ويتوعد الله جل وعلا ابليس اذ عصى أمر ربه ، ولم يسجد ولم يخضع للآدم إبي البشر قال : ( مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بُيُوتِي ) . ينسب الله الخلقة الآدمية الى يديه تعالى ( بصيغة التثنية ) فلم يقل بيدي ، بل قال بيديّ وإنما الاشارة كريمة جليلة المعنى ، تدل على أنّ تكوين الخليقة الانسانية قد اجتمع له أكمل قدرة ، وأبداع صنيع ، واحفل عناية ، واحسن تصوير . فمن حق تلك الكرامة ، التي ثبتت للآدمية من مبدأ نشأتها ، أن يُرعى حقها وأن يُصان بقاؤها ، فتعالج جراحها ، وتدأوى آلامها ، وتواري عن العيون كل مظاهر الانسانية الذليلة المهينة ، مظهر الفاقة ، مظهر المرض ، مظهر الجهل ، مظهر الضعف ، مظهر الاستخذاء . يقول صاحب الشريعة الاسلامية ﷺ « الله الله فيمن ليس له الا الله » .

أي راقبوا الله واحذروا نقمة الله ، وعاونوا من ليس له الا الله .

نعم ، حفل المشرع الاسلامي بعلاقة الافراد مع المجتمعات ووثق بينها

الروابط والصلات حتى لقد جعل ما يصيب الآدمي الواحد - حينما كان -  
يصيب ايضاً المجتمع الانساني كله، ويؤثر في كيانه. يقول تعالى : من اجل ذلك -  
الآية من اجل جرم القاتل وجريمة القتل - كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً  
بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا  
الناس جميعاً .

فليشعر كل انسان ان الخطاب الأعلى ، لا يفرق بين الافراد في الحقوق  
والواجبات ، ولا يعفي أي انسان مما يحل بأي فرد من أفراد النوع كله ، وان  
الأمة التي كتب الله لها العزة والمنعة ، هي أمة ، ادرك كل فرد فيها ان واجباً  
عليه البذل من فضل ماله ، في سبيل المجتمع ووقايته ، وصيانتته ، وصحته  
وأمنه وسلامته .

وما كتب الله لأمة ان تحيا الا في ظلال التعاون ، وتعاون الغني مع الفقير ،  
تعاون القوي مع الضعيف ، تعاون الصحيح مع السقيم ، والا فالانحلال والتخاذل  
والتحاقد ، والشتمات والتمزيق والفناء .

ليتمثل أي انسان من الاغنياء الاصحاء ان الفقر والمرض قد حاق به ، وان  
الضر قد نزل بساحته ، أفما كان يتمنى لو بادره بالعون والاسعاف الناس أجمعون ،  
هذا بماله ، وهذا بجاهه ، وهذا بعلمه ، وهذا بعطفه .

بلى ان الأمر لكذلك ، وصدق الله العظيم ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما  
تحبون ) وصدق الحديث الشريف « احب لأخيك كما تحب لنفسك » .

وُسْحَقاً وبعداً وطردياً لذلك الغني ، الذي جمع مالا وعدده ، أيحسب ان  
ماله أخلده ، كلا لينبذن في الحطمة - النار التي تحطم العظام - جزاء له على ما  
كان لديه من أثره واثانية ، وان شعاره كان دائماً :

انما دنيائي نفسي فاذا سلمت نفسي فلا عاش احد !

ولن تسلّم له نفسه ، اذا لم يسلم له مجتمعه . يقول تعالى ( الشيطان يعدكم  
الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ) .  
فلنكذب وعد الشيطان ، ولنثق بوعد الرحمن .

لقد جعل الله الانفاق في المصالح العامة ، وفي وقاية النوع الانساني  
( قرضاً ) لله تعالى ، والله غني عن عبادته ، فأبي وجدان لا يهتز ، وأية نفس لا  
تتفعل بقوله تعالى في طلب الانفاق ، لوقاية بني الانسان وحماية الاوطان  
( مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، وَاللَّهُ  
يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) .

الله اكبر .... الله يستقرض؟؟ .. وبيده ملكوت السموات والارض ..  
الله يستقرض؟ وهو المنعم بجلال النعم وذخائر الاموال؟!

( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم  
السمعَ والأبصارَ والافئدة لعلكم تشكرون ) .

لكن هذا التعبير بالاقراض قد وقع ، ولا بد له من حكمة ، وحكمته أن  
يسهل على الاغنياء المسارعة الى البذل والعتاء ، اسعافاً للفقراء ، ومطاردة  
لأسباب الشقاء وهم - على الحقيقة - يقرضون الفقراء ، والله كفيل برد هذا  
القرض ، بل رده اضعافاً مضاعفة . ومن أصدق من الله وعداً ، ومن أصدق  
من الله حديثاً؟؟

روي في الحديث الشريف « الفقراء عيال الله ، واحب الناس الى الله أنفعهم  
لعياله » . رواه ابو يعلى في مسنده من حديث انس بلفظ آخر .  
وانه للطف من الله ، جبار السموات والارض رب كل شيء ومليكه ،  
الغني عن العالمين الفعال لما يريد ، ان يرشد عباده بذلك الاسلوب العاطف ، وهذا

البيان الرفيق الذي يبرز طلب الاحسان في صورة الاستفهام دون صفة الأمر  
« من ذا الذي يقرض الله » .

أ يكون ذلك اللطف من الله لعباده الاغنياء الأثرياء الناعمين ، ثم تجحد  
الاحسان قلوبهم ، وتنقبض عن الخير ايديهم ، ولا يستحون من ربهم ، ولا  
يثقون بوعده .... لا .... لا .. ان الغني انسان ، وان الله لاأخذ بناصية هذا  
الانسان .

تذكر قوله تعالى ( وما تُنْفِقُوا من خيرٍ فلأنفُسِكُمْ ) تدرك ان نفع  
الإنفاق عائد عليك في الدنيا والآخرة - فهو في الدنيا يكف شر الفقراء ،  
ويستل سخائم الاحقاد ، ويطفىء نيران العداوة والبغضاء ، ويصحح للمجتمع  
اعضائه - وما عند الله خير وابقى في الدار الاخرى .

ثم انظر الى مشاهد العوز ، وصور الفاقة ، وانت في هذا الموسم الروحي  
من رمضان ثم تدبر قوله تعالى :

« ان رحمة الله قريبٌ من المحسنين »

« وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان  
الله لا يحب المفسدين »

« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا  
منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

« كلا ، انها لظي ، نزاعة للشوى ( جلدة الرأس ) تدعو من أدبر  
وتولى وجمع فأوعى » . أي من أعرض عن دعوة الحق ونداء الخير وجمع  
المال وجعله في أوعيته وخزائنه .

« انَّ الإنسانَ خُلِقَ هُلوعاً ( شديد الحرص ، قليل الصبر ) إذا مسَّه  
الشرُّ جزوعاً ، وإذا مسَّه الخيرُ منوعاً ، إلا المصلين ، الذين همُّ على  
صَلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

الاقْد استبان ان الذي يلقي بيده الى تهلكة نفسه ، وتهلكة أمته ، هو كل  
مناع للخير ، وكل عبد للمال .

\*\*\*

## العدل

قال تعالى : إعدلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ .

ويقول ، وهو أصدق القائلين :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا . إعدلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) .

هذه آية من الآيات التي قام عليها دينُ الله ، وشريعةُ رسول الله ، آية تدفع بالخلق ، ليستمسكوا بالحق ، وتهيب بالناس ليقدسوا العدل ، لأن الحق والعدل ، هما سر الله الذي قامت عليه السموات والارض ، وقضى ربك قديماً فجعلهما سببَ سعادة الافراد والجماعات ، فالامم والشعوب تصلح وتنعم وتعز وترغد ، وتطيب لها الحياة ، ما أقامت العدل ، وما قدست الحق .

وليس شيء اسرع جزاء ، ولا أقرب وقوعاً ، من جزاء الامم التي تنتكز للحق ، وعقاب الشعوب التي تنحرف عن العدل ، ان الله لا يخلف وعده ، وان سنن الله لا يتبدل ، وهو جلت حكيمته ، وعظمت قدرته ، أصدق من وعده ، واقدر من أوعد ، فأيمًا امية ، هان الحق فيها ، وانطمس العدل لديها ، فلترقب

خزي الدنيا المحللاً وهواناً وهلاكاً ، وعذاب الآخرة ندماً وحسرةً ومهانةً  
وسعيراً .

لهذا أعذر الله لعباده ، فأمرهم أن يقولوا أنفسهم وأمتهم وجنسهم هلاكاً  
ودماراً ، أمرهم ان يكونوا ( قوا امين الله ) - أن يقبلوا على الحق والعدل  
والخير ، وعلى الطاعة والمعروف ، وعلى البر والاحسان - يقبلون على ذلك كله  
بقوة وعزم ، وصدق توجه ، إطاعة لله ، وخوفاً من عذاب الله ، لا يتباطؤون  
ولا يترددون ، ولا يقصرون ولا يتهاونون ، بل يقومون على شئون الدين والدنيا  
يجد ودأب ونصب وبذل وصبر حتى تثمر أعمالهم ثماراً كاملة صحيحة ، لا نقص  
فيها ولا عوج ، اما من يفعل الخير مرة ، ثم يكف عنه مرات أو من يستمسك  
بالحق يوماً ، ويصد عنه اياماً ، ومن يعدل فترة ويجور فترات فليس ذلك بقوام  
الله ، لأن هذه الصيغة الواصفة لكل مؤمن حقاً أفادت الدوام والاستمرار ،  
ومواصلة العمل ، وشدة المراقبة ، ومن عرف ربه ، وشعر بأنه مطلع عليه يعلم  
خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، كان دائم اليقظة عظيم الشعور ، كان كل عمله لله ،  
وكل تفكيره في رضاء الله .

والشهادة بالقسط - الشهادة بالعدل ، فالقسط معناه العدل ، وان التكليف  
الإلهية على اختلافها وتعددتها ، تنحصر في أمرين: الاول تعظيم ذات الله ،  
وإطاعة امر الله ، والامر الثاني حسن المعاملة لعباد الله شفقةً بهم ، ورحمة  
لهم ، فالامر الاول - تعظيم ذات الله - اليه الاشارة في قوله ( قوامين لله ) والامر  
الثاني - معاملة عباد الله بالحسنى - اليه الاشارة في قوله ( شهداء بالقسط ) فلا  
يحايي الانسان اهل وده وقربته ، ولا يكتم او يحترف الشهادة لاعدائه  
ومخالفيه .

ثم قال تعالى: ( ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى )  
لا يجرمنكم - لا يكسبنكم ذنوباً ، ولا يُحْمَلَنَّكُمْ ، فجرم معناها حمل او كسب -

يقال جرم ذنباً - كسب ذنباً ، ومنه الجريمة . ( شثنان قوم ) شدة بغضكم لهم أو شدة بغضهم لكم ، فالشثنان شدة البغض ، لا يحملنكم ذلك على ترك العدل معهم ، وفيهم ، فالعدل ، في كل الامور ، وفي كل الحالات ، ومع الاعداء والاولياء والاحباء ، اقرب وادخل في معنى التقوى ، لان الانسان العادل ، يصير بعدله في الناس - في وقاية من معصية الله ، ومن غضب الله ، ومن عذاب الله .

ولهذا امر الله بالعدل مرة أخرى ، أمراً مطلقاً ، صيانة للنفوس وللمجتمعات من الظلم . الظلم الذي يهلك الامم ، ويبيد الشعوب ، فقال تعالى ( اعدلوا ) ايها الناس في احبابكم ، واعدائكم ، في الأقربين منكم والأبعدين عنكم ، حتى تتقوا الهلاك الواقع بالظالمين . ولا يصون الوجود ، ويحمي الذمار ، ويحرس الممالك والأمم الا العدل ( هو اقرب للتقوى ) . هو العدل ، المفهوم من سياق الآية يقربكم بل يدخلكم في وقاية من العذاب ومن الدمار .

ولقد انذر الله تارك العدل ، بأنه سبحانه وتعالى مطلع على ما يقترفه ، لا يخفى عليه شيء منه ، فقال تعالى تهديداً ووعيداً ( واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ) فهو محاسب على الاعمال ، وعلى النيات وان خفيت ، فلا تأمنوا ايها الظالمين ، عقبي ظلمكم وجوركم .

وأصل العدل التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، والعدل رأس الفضائل كلها ، فالشجاعة عدل وتوسط بين التهور والجبن ، والجلود عدل وتوسط بين البخل والتبذير . ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ) .

والعدل ، ميزان الله المبرأ من النقص ، والذي قامت عليه السموات والارض ، وقام عليه نظام المجتمعات ، قال تعالى : ( والسماء رفعها ووضع الميزان ) فالميزان هو العدالة ، وقال عليه الصلاة والسلام : ( بالعدل قامت السماء والارض ) فهذا الحديث يشير الى أنه لو زاد شيء من العوالم ، على ما هو قائم به ، أو نقص شيء

بما هو كائن فيه ، لاختلاف واضطرب النظام كله ولهوت الكواكب أو اصطدمت  
النجوم ، لكن العدل الإلهي المبثوث فيها ، قضى بنظامها وإحكامها :  
( لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك  
يسبحون ) .

وان من أسرار العدالة ، فيما تقوم عليه اعمال الناس ، أن الجور نفسه ، لا  
يقع وهو متوارٍ في ظلال من العدل ، فلو أن لصوصاً ، اشترطوا فيما بينهم  
- وهم يقتسمون ما سرقوا - شروطاً ثم لم يرعوها عند القسمة ، لم ينتظم لهم  
أمر ، ولم يتم لهم الانتفاع بما سرقوا ، لأنهم فرطوا في العدالة حتى في قمة ما  
يسرقون ، ومن الجزاء ما يربحاً في الدنيا ليكون نكالاً في الآخرة ولكن جزاء  
البنغي في الامم عاجل في الدنيا ، وفي الحديث الشريف ( لو بنى جبل على جبل  
لذل الباغي ) .

وانك لتدرك في صور العدل التي تبدو في المخلوقات طمأنينة في النفوس ،  
وحسناً في العقول ، وراحة في الحواطر ، وان النفس لتتألم اذا شاهدت منظرأ  
لا يجري على نظام ، ولا يلوح فيه تناسق ، ان النفس لتتقبض لمناظر العوار  
والعراج ، وتزور للنقص الذي يطالع الانسان من تلك الصور ، وكذلك تنقبض  
النفوس لمناظر الجور ومشاهد الظلم ، وان من عدل الله في الخليقة ان جعل أعضاء  
الانسان في أطرافه زوجين اثنين ، وفي الأوساط واحداً ، والمثالون والمصورون  
والنحاتون ، يجعلون العدالة اساس فنههم ، وميزان إبداعهم ، فاذا اختلفت  
الصورة ، أو اعوجت ، ولم يراع فيها العدل ، صارت نابية ، وبرز منها الجور -  
الخروج عن الحدود .

والعدل في الواجبات من أشد ما يُعنى به ذوو النفس الكبيرة ، والرسل  
والقادة والمصلحون ، لقد كان عليه السلام يقول : شيبطني هودٌ واخواتها ، فقبل  
له ما الذي شيبك منها؟ قال قوله تعالى : ( فاستقم كما أمرت ومن تاب معك

ولا تطغوا) فالطغيان جور ، والاستقامة عدل . ومراعاة ذلك عظيم شديد ،  
تشيب منه النواصي .

ولقد كان سفيان بن عيينة يقول : « ان العدل استواء السريرة والعلانية » وإنا  
لنشهد من الناس ظالمين ، يطلبون - او يدعون كمال انفسهم بتنقيص غيرهم -  
تنقيص الرجل الكامل فيهم ، وان هذا لظلم عظيم .

ولقد أنجب المجتمع الاسلامي الاول الرجل العادل ( عمر بن الخطاب )  
وأبرز الإسلام عدالته إبرازاً مثالياً طبق الدنيا ، وأبقاه في الخالدين .

ان الدنيا والتاريخ والفتوح الاسلامية الباهرة ، تعرف من هو خالد بن  
الوليد ، سيف الله المسلول ، لقد كان من أبناء خوولة عمر ، وكانت ضخامة  
صيته ، وضخامة انتصاراته ، حرية ان تغفر له عند عمر ، هفوة من الهفوات ،  
أو زلة من الزلات ، فلما تألق خالد في فتوح العراق والشام ، ثم فتح (قنسرين)  
انهالت الغنائم والأسلاب ، سيلاً دفاقاً ، فكان خالد يعطي منها بسخاء على مقدار  
البأس والشرف والبطولة ، فأعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف درهم ، وبلغ  
عمر الأمر ، فغضب وأمر أبا عبيدة أن يستقدم له خالداً ، وان يعقله بعمامته ،  
حتى يعلم أجاز الأشعث من ماله أم من مال المسلمين؟ فان زعم انها من مال  
المسلمين فقد اقر بالخيانة ، وان زعم انها من ماله فقد أسرف . ثم لم يرض عمر  
آخر الأمر الا بعزل خالد .

ويعزل خالد ويذهب الى خليفة المسلمين في المدينة ، تاركاً مجده وصيته  
وشهرته ، متنحياً عن كل شيء طاعة لخليفة المسلمين ، ثم يعاتبه عمر ، فيقول له :  
« يا خالد . والله انك عليّ لكريم ، وانك اليّ لحبيب ، والله انك لسدّاد في

نحور العدو ، وانك ليمون الثقة . ولقد أمرتك أن تحبس المال على ضعاف المهاجرين ، فأعطيتَ ذا الشرف وذا اللسان ؛ لهذا أمرت عليك أبا عبيدة . فيسمع خالد ويطيع ، لا يتنكر لعمر ، ولا يفتنه تعلق الجماهير به . بل يتظامن ، ويهدأ ، ويدع لعمر الأمر يفصل فيه كما أراه الله .

هكذا شاءت العدالة الاسلامية العمرية ان تحاسب العمال ، وان علوا وان عزوا وهكذا يرضى بهذا المصير خالد في سبيل جمع الكلمة ، وتوقير امير المؤمنين ، ولأجل ان يعظم في الناس امر عمر ، وان تنبسط على الدنيا ظلال عمر ، وعدل عمر ، ولتعلوا الراية الاسلامية في آفاق الأمصار على أيدي مسلمين لا يفضبون لأنفسهم ، ولا يتفرقون وراء الحطام ، ولا يشقون عصا الطاعة خوفاً من الفرقة .

لقد كان العدل العمري مبسوط الرواق ، حتى مع الذين لا يحبهم عمر ، ولا يجد من نفسه ميلاً إليهم ، قال عمر مرة لأبي مريم السلولي : - والله لا يحبك قلبي . فقال له أبو مريم : ائتمنني لذلك حقاً من حقوقي ؟ قال عمر : لا . فقال أبو مريم : اذن فلا ضير ، انما يأسى على الحب النساء .

فهذا هو العدل في المحبة وفي البغضاء ، لا يحمل الكره الانسان على ان يبغض الناس اشيائهم ولا على ان ينكر عليهم حقوقهم ، ولا على ان يجردهم من فضائلهم .

ألا من شاء ان ينعم بعدل الناس معه ، فليكن هو عادلاً فيما بينه وبين الناس ، ولا شيء أسرع عقاباً ، ولا أشد نكالاً ، من عقاب الله على البغي وعلى العدوان ، شرح الله صدورنا بالعدل ، وجنبنا مصارع البغي .

## العيد الاكبر للمسلمين

يقول أصدق القائلين : ( اليومَ أكملتُ لكم دينكم ،  
وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً ) .

في يوم الجمعة ، وفي يوم عرفة من العام الذي حج فيه صاحب الرسالة سيدنا محمد ﷺ ، وفي السنة العاشرة من الهجرة نزل قوله تعالى : ( اليومَ أكملتُ لكم دينكم ، وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً ) . وكان - عليه السلام - ساعة نزولها ، واقفاً على الجبل ، رافعاً يده ، يدعو الله ، والمسلمون يدعون معه . ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « انها انزلت على النبي ، وهو واقف على الجبل يوم عرفة ، فلا يزال ذلك اليوم عيداً للمسلمين ما بقي منهم احد » .

وهكذا شرع الله العيد الاكبر للمسلمين غداة يوم عرفة . بعد نزول هذه الآية ، وانه لعيد يذكر بأكرم الذكريات ، وأحبها وأعزها ، انه عيد مؤذن بأن الله قد صدق وعده ، وأعز اوليائه ، وحقق آيته الكبرى ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز ) فهو عيد الحق الأبدي ، عيد الفضيلة الخالدة ، عند تمام النعمة ، وكال التشريع ، عيد إذاعة العزة الاسلامية في

ارجاء الارض .

وانها لثلاثة وعشرون عاماً من يوم بعثته ﷺ الى العام العاشر للهجرة  
والمسلمون يجاهدون ويناضلون ، ويدفعون في صدر الباطل ، فطوراً ينكلون  
بأعدائهم ، وطوراً تحل بهم المحن والشدائد . وتلك الايام نداؤها بين ، الناس  
وكلما اشتدت الاهوال وعظمت الخطوب ، يبدو للمسلمين الصابرين ضياء النصر ،  
ويلوح لهم علم الاسلام خفاقاً ، من وراء السنين والاعوام والايام والليالي التي  
يطويها الحاضر تطلعاً الى المستقبل .

فلما ان تمت الرسالة ، وبلغت الشريعة غايتها ، وظهر الحق ، وعلت كلمة  
الله ، وفتحت مكة ، وانهزم الشرك ، ودكت حصونه ، وظهر البيت المقدس  
من رجس الاوثان ، ثم اجتمع العديد الأكبر من الحجيج ، وكلهم موحد ، وكلهم  
اسلم وجهه لله الواحد القهار ، ليس بينهم مشرك دنس العقيدة ، ولا فاجر خالغ  
لزام الفضيلة ، اجتمع هذا الحجيج الزاخر اول مرة وآخر مرة في حياة محمد ﷺ  
وعليهم اردية الاحرام ، عليهم جلالة ، ولهم عزة ، وفيهم بطولة الدين والدنيا .  
هناك ، اسمعهم رب العزة بشراه لهم بأن الشرك قد تبددت قواه ، وانه لم  
يعد للمشركين من خطر ولا شأن لا على الاسلام ولا على المسلمين ، وان اليأس  
والانهيار قد أتيا على كل أثر للمشركين : ( اليوم يثس الذين كفروا من  
دينكم ، فلا تخشوهم ، واخشون ) .

\*\*\*

انما قصد المشرع الاسلامي بالعيد ، ان يطلع على الدنيا يوم تذكر  
فيه عزة الحق ، وجلال النصر ، نصر الفضيلة ، وجمال العقيدة . وان تتضمن  
غدوات العيد وروحاته ، وأصائله وبكوره ، معاني الشكر لله على

انعمه ، اذ بدل المسلمين من ضعفهم قوة ، ومن قلتهم كثرة ، ومن  
خوفهم أمناً :

( وأذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرضِ تخافون أن  
يخطفكم الناسُ ، فأولمُ وايدكمُ بنصره ورزقكمُ من الطيباتِ لعلمكمُ  
تَشْكُرُونَ ) .

لقد أراد المشرع ان يبدو يوم العيد ، صورة للمجتمع العادل ، يتألق في  
وجوه المعيدين رواء الخير والبر والاحسان ، فتخفى مناظر الشقاء ،  
ومظاهر البأساء ، فالعيد الاسلامي عيد النفس الشاكرة الذاكرة ، لا عيد النفس  
اللاهية العابثة .

\*\*\*

لم يحرم الدين الاسلامي في العيد لهواً بريئاً ، ولا استجماماً واسترواحاً ، ولا  
زينة ولا متاعاً ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ  
مِنَ الرِّزْقِ ) ولكنه يأبى ويحرم ان ينخلع المرء من قيود الفضيلة ، ومن آداب  
المجتمع ، فيسترسل في العبث والمجون ، حتى تنتكس نفسه ، ويتبلد حسه ،  
وينسى انه عيد الشكر على النعمة ، وليس عيد الجحود للحق ونسيان ما فرضه  
الله من حق معلوم للسائل والمحروم .

لقد كان سلفنا الصالح يتقربون الى الله بصالح الاعمال . جهاداً في سبيله ،  
وبذلاً في رضائه وصدقاً في طاعته ، واستقامة على الطريق القويم ، فكشف الله

عنهم البأساء والضراء ، وصدق الله العظيم :

( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) وصدق الله  
العظيم : ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) .

\*\*\*

## الله أكبر

يقول عزت آياته ( وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ) أي قل ، يا محمد : ( الله أكبر )  
صادرة عن اعتقاد و يقين ، ان كل ما في الكون من عوالم ، وكل ما في الدنيا من  
جبابرة وطواغيت ، وكل ما يعرض في الحياة من أحداث وخطوب فالله أكبر  
منها ، والله متصرف فيها ، والله حاكم عليها . ولقد نزلت هذه الآيات :  
( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ) نزلت بعد ان فتر  
الوحي زمناً ، واشفق عليه الصلاة والسلام من جلال ما رآه ، وخشي على نفسه ،  
وجاء الى خديجة يرعد ويقول ( زملوني ، دثروني ) اجعلوا فوقى غطاء ، وزيدوني  
دثاراً ، واوسعوني قراراً ، حتى يؤوب اليّ هدوئي ، بعد الهول الذي عرض من  
لقاء جبريل والاستماع الى الوحي .

روي انه لما نزلت الآية ( وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ) قام صلى الله عليه وسلم وقال ( الله أكبر  
فكبرت خديجة وفرحت ، وعلمت ان الوحي قد استؤنف ، وانه روح القدس  
يعود اليه :

( ما ودّعك ربك وما قلى ، وللآخرة خيراً لك من الأولى ،  
ولسوف يعطيك ربك فترضى ) .

ولقد صارت كلمة (الله اكبر) شعاراً لمكافحة الاهوال ، وعدة للاستشراء في سبيل الله ، كلمة تملأ قلب المؤمن شجاعة وإقداماً ، وتفيض عليه يقيناً وثباتاً ، حتى ليستقبل الموت الأحمر و (الله اكبر) درعه وحصنه ، بها ينافح ، وبها يصول ومن اجلها يدافع عن رأيه وعقيدته لا يهن ولا يضعف ، ولا يستكين

وهي شعار الامة الاسلامية ، بل هي الدعامة الأولى التي قامت عليها عظمتها ، فحطمت امامها صروح الشرك صرحاً صرحاً ، وبددت كل طاغوت منها بديداً بديداً ، فلم يعد المؤمن الموحد يرى في الخلق سيداً تخضع له الاعناق ، ولم يبق بين الناس من الناس إله او نصف إله ( إنما الله إله واحد ) عنت لعظمته الوجوه كلها ( وَآلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) .

وإن المؤمن ليفتح بها صلاته ، ثم يتنقل بها بين اركان الصلاة ، ويفعل ذلك خمس مرات في اليوم والليلة ، وانه ليهتف بها ، ولروحه على شهواته السلطان ، وعشية ينتهي رمضان وفي ليلة العيد ويوم العيد . ثم يهتف بها ايام التشريق ، ويهتف بها وهو يطوف بالبيت العتيق بيت الله الحرام ، يهتف فيقول ( بسم الله الله اكبر ) اعلاناً عمّا وقر في نفسه ، من استصغار نواب الدنيا ، واحتقار ما يعرض في سبيل الحق ، واذعاناً واخلصاً لله الواحد القهار . فتتكون في النفس ملكة الشجاعة والاستبسال ، لا يرى المؤمن لغير مولاه سبحانه سلطاناً على ضميره ولا تحكماً في وجدانه ، وانه ليقولها فيزداد ثقة بوعد ربه ، ونصر كلمته ، مهما عدت العوادي ، واشتدت المحن ، ونزلت الكروب . وليس يلفظ المؤمن ( الله اكبر ) إلا وهي منطبعة في مضمير الفؤاد ، عنها يصدر الانسان ، ومنها يرد ويستمد .

اشد الكرب يوماً ببعض الصحابة - رضوان الله عليهم - فجاء الى رسول الله ﷺ وهو جالس امام الكعبة ، فقال له يا رسول الله : ادع على الباغين الجاحدين ، فقال له - عليه السلام - الله اكبر ، والذي نفس محمد بيده ليؤمنن الله هذا

الأمر ، حتى ان الراكب من صنعاء الى حضرموت ، لا يخشى على نفسه  
الا الله .

ارأيت كيف يقول - صلى الله عليه وسلم - وقد تألبت عليه القوى ، واستعدت عليه  
قريش احلافها ، وكاد يتدخل اليأس قلوب الضعفاء ، انه قالها كلمة مدوية  
طوت الدنيا امام عينيه ، ووسعت ما بين المشرق والمغرب ، لأن كل ذلك ، وان  
كبر وعظم وتفاقم ، فالله اكبر واعظم ، والله من ورائهم محيط ، ولن تجتمع  
تلك الكلمة الرائعة ( الله اكبر ) في قلب مؤمن ويجمع معها جبن او نفاق ،  
او تردد أو يأس او قنوط .

قال عليّ - كرم الله وجهه - لقد رأيتني يوم بدر ، ونحن نلوذ بالنبى - صلى الله عليه وسلم -  
وهو أقربنا الى صفوف العدو ، وكان من أشد الناس بأساً ، وكنا اذا اشتد  
البأس ، ولقي القوم القوم ، اتقينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه : - ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا  
كان أول من يضرب ، فلما غشيه المشرق كون ، جعل يقول : «الله اكبر . انا النبي  
لا كذب ، انا ابن عبد المطلب» ، فما رؤي يومئذ احد كان اشجع منه .

على تلك الكلمة وحدها تدارك الله دينه بيد الصديق رضي الله عنه ، في ساعة  
ذاهلة عصبية ، ساعة سكون الانفاس الطاهرة الزكية المحمدية ، فما كاد يتسامع  
الناس موت رسول الله ، حتى روعهم المصاب ، فهم بين مصدق ومكذب ،  
وبين منكر ومستعظم ، وارتجت جنبات المدينة ، وكاد الأمر يضطرب ، وكاد  
الغزل ينتكث ، وقال عمر من فرط ما دهاه : ما مات محمد ، ولكنه ذهب الى  
ربه ، وسيعود كما ذهب موسى وعاد الى قومه .

واما عليّ بن ابي طالب فلزم داره آسفاً حزينا ، حيران مروعاً ، وسار  
عثمان بن عفان هائماً في طرقات المدينة . ووسط تلك الرجفة الكبرى ، هتف

ابو بكر الصديق ( الله اكبر ) ودخل دار رسول الله ﷺ ، وهو مسجى ،  
ورفع الغطاء عن وجهه الشريف وقبله ، وقال: بأبي انت وامى يا رسول الله ،  
لقد طببت حياً وميتاً . ثم خرج يرد الى الناس أخلاقهم ، ويعيد إليهم رشادهم ،  
ويقول : ايها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد  
الله فإن الله حي لا يموت .

( وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ أفئن ماتَ أو  
قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً ،  
وسيجزي الله الشاكرين ) قال عمر : فكأنى لم اسمعها الا من ابى بكر !

بتلك اليقظة النفسية ، وهذا الشعار الوثاب ( الله اكبر ) ملك المسلمون  
نواصي الأمور ، لا يرون في شيء من الاحداث وان جلَّ وعظم ، الا انه شحذ  
للعزائم ، وإرهاق للهمم . لا يستعظمون الا الله وحده ، ولا يرون الخضوع  
والاستكانة الا امام جلاله ، وفي سبيله .

واذا كان ( الله اكبر ) شعار المسلمين ، وهتافهم في صبحهم ومساءهم ، فما بال  
أقوام من المسلمين يستخذون ويستكينون ، امام مخلوق ، لا يملك لهم ضراً ولا  
نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

ما بالهم يحتقرون انسانيتهم ، ويذهلون عن عقيدتهم ، وينكرون ذواتهم ،  
في مجلس مخلوق هو في قبضة الرحمن ، يصرفه كيف شاء .

ليس البر ان يتشكل المسلم بأشكال المسلمين ، ولا أن يرتدي شعار المسلمين ، ولا  
ان يتسم بسيما المسلمين ، ولكن البر ان يشعر قلبه عظمة الله ، والا يخشى احداً  
سواه . حتى لا يصدر عنه قول ولا فعل الا وهو موقن بما هو ناطق ( ان الله  
اكبر . وان الله اعظم ) .

فيا من يخشون الناس، والله احق ان يخشوه. كونوا كأولئك المسلمين الاولين:  
( الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّخِذُوهُمْ ،  
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ  
إِلَى دِيَارِهِمْ وَفَضَلَ لَمْ يَمَسَّهُمْ سَوْءٌ ) .

ألا لا يستعظم المسلم حدثا من الاحداث فإن الله اكبر . ألا وليضرب  
في صدور الخطوب فإن الله اكبر !

## الشكر يديم النعمة والكفر يذهبها

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان ثلاثة في بني اسرائيل، أبرص، وأقرع، واعمى، فأراد الله تعالى ان يبتليهم - يختبرهم ويمتحنهم - فبعث اليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال لون حسن، وجلد حسن، ويذهب الذي قد قذرتني الناس! فمسحه الملك فذهب عنه قذره، وأعطى لوناً حسناً، وجلداً حسناً. قال له الملك: فأي المال أحب اليك؟ قال: - الأبل! فأعطى ناقه عشرةا وشيكة أن تلد وإنما لأنفس الإبل. فقال له الملك: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الملك الرجل الثاني وهو الأقرع، فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قذرتني الناس، فمسحه الملك فذهب عنه قذره، وأعطى شعراً حسناً. قال له الملك: فأي المال أحب اليك؟ قال: البقر. فأعطى بقرة حاملاً، فقال له الملك: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الملك الرجل الثالث - وهو الاعمى - فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال: أن يرد الله الي بصري فأبصر به الناس، فمسحه الملك فرد الله بصره، فقال له الملك: فأي المال أحب اليك؟ قال: الغنم. فأعطى شاة ولوداً. فأنتج هذا، وولد هذا، فكان لهذا واد من الابل، ولهذا واد من البقر،

ولهذا واد من الغنم .

قال عليه الصلاة والسلام : ثم انه - أي الملك - أتى الابرص ، في صورة رجل ابرص - كصورته وهيئته - قبل أن يبرأ ، فقال له : اني رجل مسكين ، قد انقطعت بي الحال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ، ثم بك ، سألك بالذي اعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال ، ان تعطيني بغيراً ، أتبلغ عليه في سفري ، فقال له : الحقوق كثيرة؟؟ فقال له الملك في صورة الرجل الابرص : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرصَ يَقْذَرُكَ الناس ، فقيراً فأعطاك الله ، قال له : انما ورثت هذا المال كبراً عن كابر ، فقال له الملك : ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت؟؟

قال - عليه الصلاة والسلام - واتي الملكُ الرجلَ الثاني في صورته وهو أقرع . فقال له مثل ما قاله لهذا ، ورد عليه بمثل ما رد عليه ، فقال الملك : ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت .

قال - عليه السلام - وأتى الاعمى في هيئته وصورته ، فقال له : رجل مسكين ، وابن سبيل انقطعت بي الحال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم ، الا بالله ، ثم بك ، سألك بالذي ردد عليك بصرك ، شاةً أتبلغ بها في سفري ، فقال له : قد كنت أعمى ، فرد الله الي بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ! فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته الله ( لا أشق عليك برداً ما تأخذه) - فقال له الملك : امسك عليك مالك فانما ابتليت - اخترتم أنتم الثلاثة - فقد رضى عنك ، وسخط على صاحبيك ، ( أو كما قال رسول الله ﷺ ) .

حديث صحيح كاشف عما تنحط اليه بعض النفوس . اذا هي شبيعت بعد جوع ، وصححت بعد سقم وحسنت بعد قبح . نفوس تنسى نعمة الله عليها ، ورحمته بها وانقاذه لها ، فذاقت وبال امرها ، وصدق الله العظيم :

«وإذا أنعمنا على الإنسان أعرَضَ ونأى بجانبه وإذا مسَّهُ الشرُّ  
فدودعاءً عريضاً».

فالبیدار البیدار الى الخیر والى البر والى اسعاف الناس ، فكل متاع  
زائل، (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى).

\*\*\*

## الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ

« حديث نبوي شريف »

روى مسلم ، قال : قال رسول الله ﷺ « الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ». الطَّهُّورُ الطَّاهِرُ فِي تَفْسِهِ ، وَالطَّهَارَةُ مَعْنَاهَا النِّظَافَةُ ؛ وَإِنَّ النِّظَافَةَ لِأَصْلٍ مِنْ أَسْوَالِ دِينِنَا ، بَلْ جَعَلَهَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ شَطْرَ الْإِيمَانِ ، فَكُلٌّ مِنْ فَقْدِ الطَّهَارَةِ أَوْ النِّظَافَةِ ، فَهُوَ فَاقْدِ شَطْرَ إِيْمَانِهِ : فَالصَّلَاةُ إِيْمَانٌ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يَتَطَهَّرُ وَيَتَنَظَّفُ .

إنَّ المَشْرِعَ الْإِسْلَامِيَّ عَنَى أَشَدَّ الْعَنَايَةِ فِي الْكِتَابِ وَفِي السَّنَةِ بِتَعْظِيمِ شَأْنِ النِّظَافَةِ ، وَأَعْلَى قَدْرِهَا ، حَتَّى لَقَدْ شَرَفَ الْمُتَطَهِّرِينَ الْمُتَنَظِّفِينَ فَجَعَلَهُمْ أَحِبَّاءَ اللَّهِ : قَالَ تَعَالَى : - ( فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ) .  
وَقَالَ : ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ) وَإِنَّ صِيغَةَ ( الْمُطَهَّرِينَ ) وَ ( الْمُتَطَهِّرِينَ ) ، تَدُلُّ عَلَى الْمَبَالِغَةِ فِي التَّنْظِيفِ ، وَالْحِرْصِ عَلَى النِّقَاءِ مِنْ دَنْسٍ .

وَلَقَدْ شَرَطَ الشَّارِعُ لِلْعِبَادَاتِ كَالصَّلَاةِ وَالطَّوَّافِ الطَّهَارَةَ وَالنِّظَافَةَ - نِظَافَةَ الْبَدَنِ بِغَسْلِ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ ، وَتَنْظِيفِ الْفَمِ وَالْأَنْفِ ، كَمَا اشْتَرَطَ أَيْضًا لِلصَّلَاةِ طَهَارَةَ الثَّوْبِ وَطَهَارَةَ الْمَكَانِ ، وَأَوْجَبَ الْإِغْتِسَالَ عَلَى مَنْ أَلَمَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمَعْرُوفُ ،

والاغتسال إفاضة الماء على البدن كله ، بل يندب تدليك الجسم عند  
الاغتسال .

والمرجع أوجب على المرأة المسلمة ان تطهر بدننها وتنقيه من آثار الولادة  
والنفاس ، كما أوجب أن تتطهر وتنظف في أعقاب الدورة الشهرية التي  
تلم بها .

والاحاديث النبوية تؤكد غُسل الجمعة كل اسبوع ؛ تمهيداً للاجتماع الذي يقام  
بالمساجد ، كما انها تؤكد تنظيف الفم والأسنان بالسواك وبكل ما هو كالسواك  
من أدوات التطهير .

والاسلام يأمر أمراً شاملاً بتنظيف الثياب وتطهيرها وتنقيتها ، يقول اصدق  
القائلين : ( وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ) .

واذا تتبعنا سيرة صاحب الشريعة - عليه السلام - وشمائله رأينا مثلاً عالياً  
في النظافة والنقاء ، في المأكل والمشرب والملبس والمأوى ، حتى في النعال التي  
تصون القدم .

فالمسلم لا يكون في جميع الاحوال الا نقياً نظيفاً طيباً مطيباً ، حسن  
المظهر جليل السمّت .

وان رسول الله ﷺ قد حذّر ان تحل لعنة الله وطرده على من دنّس  
الماء الذي يَرِدُهُ الناس ، ويستقون منه ، أو دنّس الطريق الذي يسلكه  
الناس ، أو دنس الظل الظليل الذي يأوى اليه المتعبون في شدة القيظ .  
روى معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : - اتقوا الملاعن الثلاث :  
البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل . وروى مسلم وابن ماجه

والنسائي عن جابر رضي الله عنه أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهي أن يُبال في الماء  
الراكد .

إذا كان للمنطق حكم ، والمسببات اسباب ، فلقد حق ان تكون الأمة  
الاسلامية انظف الأمم جمعاء ، لأن دينها يوجب عليها ذلك ، بل ان الهدي النبوي  
لِيسِنَ لنا أن نتطيب ، وان لا نسبب التأذي لإخواننا في المساجد اذا ما  
اجتمعنا . روى أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« من اغتسل يوم الجمعة ومَسَّ من طيب ، ولَبَسَ صالح ثيابه ، ثم لم يتخط  
رقاب الناس ، ولم يبلغ عن الموعدة كان كفارة لما بينها » أي بين يومي  
الجمعة .

ليست مظاهر النظافة الشرعية في جديد الثوب ، ولا غالي الملابس ، وانما  
أدوات النظافة الماء - الذي يقول فيه جلت قدرته : ( وانزلنا من السماء ماء  
طهوراً ) .

اما وقد تبين لنا ان ديننا ، وهدي نبينا ، يجعلان النظافة اصلاً  
من اصول الاسلام وشطراً للإيمان . فالبائع المتجول الذي يهمل نظافة جسمه  
وثوبه وأدواته ، ويدع الذباب والاقذار تتجمع على ما بين يديه من  
طعام او شراب او فاكهة ، او سلعة ، هو آثم في نظر دينه ، مخالف  
لهدي نبيه .

وصاحب المطعم الذي لا يعنى بنظافة الأوعية وتطهيرها ، ولا تنقية الأغذية  
واختيارها ، ولا بفرش المائدة ، ولا بمرافق الطهارة ، ولا بوسائل الوقاية . هو  
آثم في نظر دينه . مخالف لهدي نبيه .

واصحاب القرى والأكواخ التي تتجمع حولها القمامات وتتكدس بينهم  
الأوحال ، وهم يزيدون على ذلك القاء الماء الآسن ، ونفاية الأطعمة والأشربة من

النوافذ . هم جميعاً آثمون في نظر دينهم ، مخالفون لهدي نبيهم .

والذي يحضر يوم الجمعة متأخراً ، فيتخطي الرقاب ، ويلوث ملابس  
المصلين ، يؤذيتهم برأحتيه وأدراجه ، آثم وربما ذهب ثواب صلاته .

فيا ايها المؤمن : حقق ايمانك بالنظافة ، وكمل ايمانك بالطهارة ،  
واستجلب بذلك رحمة الله ، ومحبة الله ، ان الله يحب المتطهرين .

\*\*\*

## الفرقة والشقات خروج من قيود الاسلام

« حديث نبوي شريف »

روى الإمام احمد و ابو داود والحاكم عن ابي ذر . قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً ، فقد خلعَ رِبْقَةَ الاسلامِ مِنْ عُنُقِهِ حتى يراجعهُ .

صاحب العقيدة الاسلامية ، يجعل بينه وبين الإسلام عقداً أن يأتمر بأوامره ، وينتهي عن نواهيه ، يجعل لنفسه عروة محكمة في حبل الإسلام ، هذه العروة - او الرَبْقَة - كما سماها الحديث لأن الرَبْقَة هي العروة لفة ، والرَبْقُ هو الحبل . هذه العروة ينقضها ويحلها خروج الفرد على الجماعة ، ومفارقتها لما اجتمعوا عليه ، وحينئذ ينفصل الانسان من الاتصال بحبل الاسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كل من خالف عن إجماع الأمة أية مخالفة ، وكل من ابعد عن الجماعة ايّ إبعادٍ ولو كان في ضآلته يوازي في المسافات مقدار شبر ، فهو رجل قد فسم عروته ، أو خلع الرباط الذي يربطه بحبل الاسلام ، وبمبادئ الاسلام . وقد جعل الحديث الروابط الاسلامية ممسكة بأعناق المسلمين ، إعظاماً لها ، وتشدداً في المحافظة عليها ، وإظهاراً لمعنى الانقياد لها ، والخضوع عندها .

وقد أشار الحديث الى ان مراجعة الخارج على الجماعةِ نفسه لكي يعود اليها

ويندمج فيها - هو أمر يردّ الاعتبار الاسلامي ، ويعيد صلة الفرد الى ما كانت ،  
وذلك حتى لا يحطم اليأس نفوس النافرين الناشزين .

ان الإسلام يأمر باتحاد واتفاق كل قوم تضمهم ارض واحدة ، ويحكمهم  
قانون واحد ، وان اختلفت دياناتهم ، وتباينت أجناسهم ، لأن الدين اذا ميّز  
العبادات ، وحدد العقائد ، فان الوطن يجمع الكل ، والمصالح تضم الشتات .

والإسلام دين عام تتسع أوامره ونواحيه ، حتى تعم أتباع الملل وأبناء  
الطوائف ، الذين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، والذين يشاركوننا في حلو الحياة  
ومرها ، وبأسائها وضرائها .

واذا كان الاسلام ديناً خاصاً من ناحية العقائد والشعائر والعبادات ، فهو دين  
عام ، ونظام شامل في الاجتماعيات والمعاملات والنظم والادارات ، ولما يدعو  
الى الوحدة في عباداته ، يدعو الى الجماعة في سياساته ومعاملاته .

يقول صلى الله عليه وسلم : ( الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ) وهذا معناه ان  
اجتماع المسلمين على عقائد دينهم رحمة بهم ، وتفرقهم شيعاً واحزاباً عذاب حال  
عليهم . ومعناه ايضاً ان توحيد الآراء في السياسة والاجتماع والمعاملة رحمة  
للمسلمين ولكل من تقله ارض الوطن ، وتظله سماؤه على اختلاف الأديان والنحل ،  
وان افتراق الكلمة ، والجري وراء الأهواء عذاب وشقاء لكل أولئك وان  
اختلفت الأديان ، وتباينت العقائد .

ليس كل اختلاف شراً ولا اثماً ، فان من طبيعة البشر أن يختلفوا ، ولا  
يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وقد فطر الله البشر على ذلك ( ولا يزالون  
مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) وذلك مبعثه اختلاف  
الأفهام وتباين العقول ، ولا مطمع في ان تتوحد العقول البشرية ، ولا ان تستوي  
المدارك الانسانية ، فالاختلاف هنا طبيعي ، هو كالحب والبغض ، والأخوة في  
بيت واحد ، ومن منحدر واحد ، يختلفون امام الشيء حباً وبغضاً ، لأنهم

يختلفون ادراكاً وفهماً. ولا بأس من هذا الاختلاف فان من وراء تشاجر الآراء، انبعاث نور الحق المبين .

لكن الاختلاف الذي يبين هدى الاسلام، ويقذف بالانسان وراء حدوده، هو الاختلاف الذي منشأه تحكيم الاهواء، وتسفيه الآراء، وإثارة الضغائن والاحقاد .

ألا انه اذا اصاب المسلم وهن او ضعف وفشل، أو ذل وهوان، ثم راح يشكو ويتألم، فليرجع الى كتاب ربه، فعنده فصل الخطاب، وما فرطنا في الكتاب من شيء، يقول تعالى :

( وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ )

والريح هي القوة والصولة والعزة .

\*\*\*

## واجب البيت

روى البخاري ومسلم ، قال . قال رسول الله ﷺ : ( ارجعوا الى أهليكم ، فكونوا فيهم ، وعلوهم وبروهم ) .

أرأيتم هذه الطرقات تعجُّ بالجماعات ، جيئة وذُهوياً ، قتلاً للوقت ، وتعطلاً من العمل ، وإضاعة للعمير ، وفراراً من التبعات ، واستخفافاً بمعنى الكرامة الانسانية ؟

أرأيتم المقاهيَ والمنتدياتِ والمشاربَ في أية ساعة من ساعات الليل او النهار ، كلها غاص بالجالسين أو اللاعبين أو الراصدين ، أزماناً بعد أزمان ، وإياماً وراء أيام ، يأكلون فيها ، ويأنسون بها ويطمثون اليها ؟

او ليس لهؤلاء بيوت ، يلمثون بها إماماً ، أو ليست لهم أسرٌ يتعهدونها تعهداً ، أو ليس لهم أهل يرعونهم رعاية فيكونون فيهم ، يعلمونهم ويبرونهم ؟

لهؤلاء جميعاً ، يتوجه أمر النبي ﷺ ، يتوجه الى هؤلاء الفارين من بيوتهم ، النافرين من أسرهم ، المضيقين لأبنائهم وبناتهم ، المستعبدين لعاداتهم وأهوائهم ، يأمرهم النبي ﷺ أن يرجعوا الى أهليهم ، وأن يعلموا نساءهم سيادة البيت ، وسياسة الاسرة ، وأداءً حق الاطفال الصغار ، فإن للاطفال على الوالدين حقوقاً

هي ، عطفُ الحضانة وتنشئةُ الطفولة ، وان على السيدة أن تحبب البيت الى زوجها ، وان تجلب له فيه اسبابَ الراحة والطمأنينة والهناء ، فان احقر المنازل ، اذا تولت شأنه سيدةٌ عاقلة هاشة باشة ملأته سعادة وبهجة وأنسا .

ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجال الفارين من بيوتهم ، أن يُعلموا الزوجة والولد والبنت وأن يبروهم ، فكل هؤلاء في حاجة الى رب الاسرة بأنسون اليه ، ويسعدون في جواره .

ولا يظنن أحد ان الأجر والثواب كلُّه وقفٌ على العبادة من صلاة ، وتردد على المساجد ، فرسولُ الله ﷺ يقول في الحديث الشريف : ( مشيك الى المسجد ، وانصرفك الى أهلك ، في الأجر سواء ) .

جعل الرسول ﷺ الأجر مستويًا بين المشيتين : مشية الرجل الى عبادة ربه ، ومشيته راجعاً الى بيته يدخل السرور على أسرته .

ليس شيء يبعثُ الجفوة ، وينغص حياة الأسرة الا أن ينفق الرجل ساعات ليله ونهاره ، يذرع الشوارع أو يعمر المقاهي ، فاذا لامه لائم قال : وماذا يبتغي البيت مني ؟ ان في البيت طعاماً ، وان فيه شراباً ، وان فيه نفقة !

ألا إن شأن البيت لأجل من هذا ، إنه روحٌ من الود ، وضياءٌ من الألفة ، وقبس من المحبة ، وذلك لا يتوفر وصاحب البيت بعيد عن بيته .

قال لي بعضهم : أتريدني ألعبُ في البيت مع الأطفال ؟ نعم . نعم ، أريدك تلعبُ ساعة مع اطفالك ، أريدك سمحاً كريماً ، تبعث في البيت مرحاً وسعادة نفسية .

روى ابنُ عساکر عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : ( من كان له صبي ، فليتصاب له ) . هذا الحديث يبسط معنى رحيماً ، عاطفاً ، حانياً على الصبيان والأطفال ، انه يأمر الرجال في بعض الحالات ان يتنزلوا الى ملاعبة الاطفال كما يفعل الاطفال بعضهم مع بعض .

ألا ان البيت السعيد لا يقوم الا على أساس من الحب والرفق والرعاية .

\*\*\*

## مَنْ حَلَفَ لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَالْمَعْرُوفَ فَهُوَ آثِمٌ

« حديث نبوي شريف »

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها. قالت: « سمع النبي ﷺ صوتَ خُصومٍ بالباب عالية أصواتهم ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر، ويسترفقه في شيء ، وهو يقول: والله لا أفعل . فخرج عليها رسول الله ﷺ ، فقال : أين المتألى على الله لا يفعل المعروف ؟ فقال: انا يا رسول الله، فله أي ذلك احب . »

هذا حديث يصف ويعالج شأناً من شؤون الناس في معاملاتهم ، وبخاصة ما يكون بين الدائن والمدين ، وأكثر الناس يجانبهم التوفيق في اقتضاء الديون ، فلا هم يبقون على ودّ ولا على صفاء ، ولا على تعاون . ولا هم يصلون الى حقوقهم كاملة كما يشاؤون ، بل ربما ضاعت كل الحقوق ، بتعجيز الدائن للمدين ، وبعنف الخصومة ، وفقدان الرفق ، وسوء التقدير للأمر ، والبعد عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذا الحديث يبين لنا انه - عليه السلام - كان داخل حجراته ، فسمع بالباب ضجة وضوضاء ، وأصوات خصماء ، يختصمون في أداء دين ، فالدائن يلح على مدينه ، ويغلظ له القول ، ولا يتزحزح عن مكانه في استيفاء الحق كاملاً غير منقوص ، فهو لا يعالج قدرة المدين على الأداء ، ولا يرفق به في السداد . والمدين لا يجحد الحق ، ولا يماطل ، وهو قادر ، وإنما يبدي عجزه ، ويظهر رغبته في أداء الدين ، لو وجد تيسيراً من الدائن ، أو رفقاً في استيفاء

الدين . ان المدين - في الحديث - يخاطب مروءة الدائن ويلوذ ويلجأ الى رحمته ومعاونته ، انه ( يَسْتَوْضَعُ ) الدائن شيئاً من الدين - أي يطلب منه أن يَضَعَ عنه ، وان يَحْطُطَ عن عاقبته ، بعض الدين الذي يُعجزه ، ويسد عليه منافذ السداد ، حتى يستطيع أن ينهض بأداء ما استطاع ...

والمدين - كما ذكر الحديث - يخاطب في الدائن ايضاً عاطفة البرّ الانساني ، ويخاطب الرحمة الاسلامية .

إنه ( يسترفقه ) أي يطلب منه الرفق في المطالبة ، أو الرفق في التجاوز عن شيء يسهل الأداء ، ويحل المشاكل ، ويعين على الوفاء ...

لكن الدائن لا يرحم ، ولا يرق ، ولا يترفق ، بل يقسو ، ثم يقسو ، ويكلف المدين ما لا يسعه جهده ، انه يرفض ان يضع شيئاً عنه من الدين ، ويرفض ان يرفق بالمدين في المطالبة ، ثم يعتمد الى اثم وعدوان فيؤكد سوء معاملته بيمين يقسمها مبالغة في الامتناع . ولقد عبر الحديث عن الخالف المتألي بأنه يتألي ، يبالغ في اليمين ، فالتألي هو الحلف الغليظ ، قال تعالى :

### ( لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ) أي يحلفون

لقد سمع النبي ﷺ الدائن ، وهو يؤكد قسمه ، بأن لا يضع شيئاً عن مدينه ، ولا يرفق به في الطلب ، فأنكر ما سمع ، واستعظم فعلة الدائن ، واتخاذه يمين الله وسيلة لترك المعروف ، ونبذ البر ، ومجانبة الاحسان .

سمع النبي - عليه السلام - ذلك ، فلم يسعه الا أن يدع حجرتة ، ويخرج الى المتخاصمين ويقول ( أين المتألي على الله لا يفعل المعروف ) كأنما بلغ العجب - منه ﷺ - اذ اراد رؤية هذا الانسان الذي جاوز حدود الانسانية ، وامعن في الانحراف حتى جعل يمين الله سداً منيعاً بينه وبين الخيرات .

اما الدائن ، فما كاد يرى رسول الله ﷺ ، ويسمع عبارته العاقبة الغاضبة

اللائمة ، حتى سقط في يده وندم ، ولم يسعه الا ان يتقدم تائباً منيباً ، فاعلا  
للمعروف ، راضياً بالبر ، راغباً في الرفق .

فقال لرسول الله ﷺ في اعتراف النادم « انا يا رسول الله » انا الذي اقدم  
على هذا المنكر ، ثم اردف ذلك بأنه قد قبل أي الأمرين أحب مدينه ،  
فان شاء حط عنه ، وان شاء رفق به . هكذا تنتهي الخصومة في ظلال الهدى  
المحمدي ، وتعالج الأمور بالحسنى ، ويسارع المؤمنون الى طاعة رسول الله ، ومن  
يطع الرسول فقد اطاع الله .

كم من مزارع أثقله الدين ، وألح عليه صاحب الأرض ، ولم يفرق بين ما  
يستطاع ، وما لا يستطاع فضاع الدين كله ، وبارت الأرض ، وخسر الدائن  
اضعاف ديونه . فإذا سئل ان يترفق بالمدين ، قال لقد حلفت لا انزل عن شيء من  
ديني ، واني لبار بقسمي - وفي الحق - انه لآثم في قسمه ، وانه لخاسر في عمله ،  
وانه لمخالف هدي الرسول ﷺ .

كم من رجل يحلف لا يزور صديقه ، او لا يكلم اخاه ، او لا يصل رحمه ،  
او لا يرفق بضعيف ، او لا يحنو على فقير ، فهذا الخالف آثم ، ويمينه إثم ، وانه  
ليخالف هدي الرسول ﷺ .

الا انه من الخير ان يتحلل كل حالف من مثل هذه اليمين ، حتى يعم  
المعروف ويتبع الناس سبيل نبيهم وسبيل المؤمنين .

## الحجر الصحي تشريع إسلامي

يروى عبد الرحمن بن عوف ، الصحابي الجليل ، فيقول : - سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( إذا سمعتم بهذا الوباء في بلد فلا ، تقد موا عليه ، وإذا وقع وأنتم به ، فلا تخرجوا فراراً منه ) .

لرواية هذا الحديث قصة تاريخية ، فلقد فشا الطاعون ( في عمّواس ) بالديار الفلسطينية ، ومنها انتقلت العدوى الى البلاد الشامية ، وكان فتكه ذريعاً .

وفي هذا الوقت ، كان عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين وكان قد غادر المدينة في طريقه الى الشام بعد ان فتحها قواده ، ليتعهد البلاد التي فتحت ، وليقيم عليها من يتولى مصالح الرعايا .

فلما وصل الى سرغ ، بالقرب من تبوك استقبله امراء الجنود - أبو عبيدة ابن الجراح ، ويزيد بن ابي سفيان ، وشرحبيط بن حسنة - وبادروا فأخبروا عمر أمير المؤمنين ، أن البلاد التي هو قادم عليها ملوثة بالوباء ، وانه يحصد الأرواح حصداً ، فانزعج عمر ، خوفاً على الجند وعلى المسلمين وعلى عباد الله ، وجمع اليه كبار المهاجرين والصحابة يستشيرهم في الأمر : أيقدم أم يرجع ؟ وانقسم القوم فريقين . فقال فريق ، لا نقدم على الوباء فنلقى بأيدينا الى التهلكة ، وقال فريق آخر : يا عمر ، خرجت لأمر اردت به الله وما عنده ، فلا يصدنك عنه بلاء عرض . نظر عمر في الأمرين ، وروى في حجج الفريقين ، ثم أمر ابن عباس أن ينادي

في الناس ، ليُعدوا رواحلهم ، ولا يندخلوا البلاد الموبوءة ، وفي فجر اليوم التالي ، صلى عمر بالقوم ، وقال : اني راجع فارجعوا . لم يكن القائد الفاتح ( ابو عبيدة ) حاضراً تلك المشاورات ، ولا سامعاً لما انتهى اليه رأي عمر ، فلما علم به ، قال لعمر : أفراراً من قدر الله يا عمر؟ فنظر اليه عمر وقال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة . نعم ، فراراً من قدر الله ، الى قدر الله . ثم أظرق قليلاً وقال : يا أبا عبيدة . . . رأيت لو أن رجلاً هبط وادياً ، له عدوتان ، إحداهما خصبة ، والاخرى جدبة ، أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ، ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ؟

وبينا القوم يتناقشون ، أقبل عليهم عبد الرحمن بن عوف ، فسمع وعلم ما يجري بشأن الوباء ، وهل يدخل الناس الأرض الموبوءة ، او ينصرفون عنها ؟ فقال عبد الرحمن : إن عندني في ذلك الأمر علماً عن رسول الله ﷺ . فقال عمر : الله أكبر ، تحدث يا عبد الرحمن . قال ابن عوف : سمعت النبي ﷺ يقول : « اذا سمعتم بهذا الوباء في بلد فلا تقدموا عليه ، واذا وقع وأنتم به ، فلا تخرجوا فراراً منه » .

ففرح عمر رضي الله عنه اذ وافق رأيه ما أمر به رسول الله ﷺ من قبل ، ثم انصرف عمر عن دخول البلاد الموبوءة وانصرف معه المسلمون ، مجتمعين الرأي على ذلك ، وعاد ابو عبيدة وأمراء الاجناد الى البلاد يعالجون امور الناس ، وبذلك تقرر الحجر الصحي ، بالسنة النبوية ، وباجماع أهل الحل والعقد من المسلمين ، وعلى رأسهم عمر .

لقد كان عمر بعد انصرافه الى المدينة يعالج أمر المسلمين في موطن الوباء ، وكانت الجيوش هناك تعسكر في أماكن هابطة ، ليس يتوفر لها نقاء الهواء ، فكتب عمر الى أبي عبيدة : إنك انزلت الناس ارضاً عميقة ، فاعل بهم ارضاً مرتفعة نزهة .

ولما ولي عمرو بن العاص الأمر في المناطق الموبوءة ، خطب الناس فقال :

ان هذا المرض اذا وقع يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه .

ليس الحجر الصحي - اذن - الا تشريعاً دينياً اسلامياً ، فليقترب كل مسلم الى الله باتباع شرعه ، والعمل بهدي نبيه ، فاذا فرّ مسلم من مدينة موبوءة الى مدينة صحيحة فهو آثم قلبه ، واذا دخل مدينة موبوءة خفية ابتغاء متاع الدنيا ، فهو آثم قلبه ، واذا لم يصن الجماعة ويحبّ لهم ما يحبّه لنفسه فهو آثم قلبه ، والله شهيد على ما تعملون .

### طهارة المجتمع ووحدة الكلمة

روى أبو داود والبيهقي في « دلائل النبوة » عن ثوبان مولى النبي ﷺ ، أنه قال : ( 'توشك' الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة الى قصعتها ) فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : « بل أنتم كثير .. ولكنكم 'غناء' كغناء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ... » قال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟؟ قال : ( حب الدنيا ، وكراهة الموت ) .

\*\*\*

في كل وقت ، وفي كل مكان ، حيث يتقابل الناس ، أو حيث يسمر  
الاصدقاء ، لن ترى ولن تسمع الا شاكياً ساخطاً ناقماً ...

فرجل يصف ما تعانيه الأمم الإسلامية من ظلم ومن بغي ومن عدوان ....  
ورجل يشفق من المستقبل الذي قد يتمخض عن أحداث جسام ، وربما كان فيها  
خذلان أو طان واستلاب حقوق ، وإذلال نفوس ...

ورجل يُصوّر في مرارة وحزن مظاهر الضعف ، وعلامات الانحلال ،  
وعبادة المال ، ثم يدهش من فتك المرصّين المتوطنين : البخل والجبن .

والكل يتساءل : ما أصل هذا البلاء ؟ وأين نعثر على الدواء ؟ . وفي الحق  
أن الأمر كما قال الشاعر الصادق :

دواؤك فيك وما تشعرُ  
وداؤك منك وما تبصِرُ

ان في قول الحكيم الرباني محمد ﷺ الذي صدرنا به هذا الحديث وصفا  
للأمراض الاجتماعية التي أصابت الأمم الاسلامية ، وبياناً لأعراضها وآثارها ،  
وإشارة الى وسائل العلاج ، والى طرائق الشفاء .

أما أصل الداء الاجتماعي الذي يعاينه العالم الاسلامي ، فهو التقاطع والتخاذل  
والإختلاف ، وقد حذّر منه الرسول ﷺ . فقد روى البخارى عن ابن مسعود  
قال : قال رسول الله ﷺ : ( لا تختلفوا ، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ) .  
هكذا يقرر الحكيم الرباني ، أن الاختلاف مبيد للأمم ، وأن انطواء كل  
فرد على نفسه خذلان للمجموع ، وأن وحدة الكلمة ، وإجماع الرأي على الأمر  
بالمعروف ، هو سبيل العمران وهو علامة على أن الحياة تتدفق في جسم المجتمع .

ولا ينشأ الخلاف ، ولا تعم الفرقة الا من شعور خاطيء آثم بأن الحياة  
الفردية ، والمتاع الذاتي ، هما كل شيء في تلك الحياة ، وان ليس على الانسان  
واجب لمجتمعه ، وإن كان له كل الحق على المجتمع ، ولقد يتضخم الشعور بالذاتية ،  
فلا يعود الفرد يشعر بمن حوله ولا يحس لهم بأمال ولا بآلام ، وعندئذ تنقطع  
الروابط ، وتنبث الصلات ، فلست ترى وشيجة ولا رحمة بين الإنسان وبين  
أسرته ، ولا بين قريب وذوي رحمة ، ولا بين فرد وأُمَّته ، كل عاكف على  
شأنه ، معني بذاته ، يصيح دائماً :

إنما دنيائي نفسي فاذا سلمت نفسي ، فلا عاش أحد !

وكيف تسلم له نفسه ، وهذه صفاته ، وأفراد المجتمع من حوله يصيرون

- وهو منهم - كما يصور الحديث الشريف : كالورق الجاف ، المتساقط من فوق الأشجار ، ومن حول الأغصان ورق جاف ذابل ، لا قوام له ، ولا حياة فيه ، ولا فائدة منه ... ورق تذرره الرياح ، ثم هو غناء هشمٍ نأفه غثٌ يدفعه السيل ، وقد كان هذا الورق من قبل يانعا فوق الشجرة يستمد منها غذاءه ، ويبعث إليها بغذائها . وهكذا يصف الحديث المحمدي البليغ كل أمة تكون كثيرة العدد ، متقطعة الأوصال ، مبددة القوى ، مشتتة الآراء والمذاهب ، قد أعرضت عن أسرار قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) .

ولقد بين الحديث المحمدي أن من شأن المجتمع الذي تسري فيه الفرقة - من شأنه أن يغري به الأعداء والخصوم ، وأن يهيم للغاصبين أن ينقضوا عليه ... فهم يتداعون - يدعو بعضهم بعضاً - الى الفتك والى الالتهام . . .

ويشير الحديث المحمدي الى ان الاختلاف والشقاق مبعثها الآفة والحرص على النفع الذاتي ، وإذا ما استشرى داء الأناية في أنفس الأفراد ، قذف الله فيهم الوهن . والوهن هو الضعف في الرأي وفي العمل وفي البدن ، وهو أيضاً كما عرفه رسول الله ﷺ حب الدنيا ، وكرهه الموت ، ويتولد عن ذلك لا محالة ، الحرص والبخل والخور والجبن ...

وكل مؤرخ لدول الإسلام يعرف مدى الخلاف الذي وقع بين عليٍّ ومعاوية . خلافٌ استحكمت تغلغل وتشعب ، ولكل منها فيه وجهة هو مولئها ...

ولكننا نرى ان الخلاف الذي قطع الأواصر ، وشنت القوى ، وأسال الدماء ، وجيش الجيوش ، نرى هذا الخلاف قد اختفى وتوارى عندما تعرضت سلامة الأمة الإسلامية لخطر الدخيل المتوثب : قيصر الروم ..

لقد انتهز قيصر الروم الخلف المشبوب بين معاوية وعلي، ورآها فرصة موالية لأطباعه في القضاء على دولة الإسلام، التي كان يمثلها جاره يومذاك (معاوية)، لقد استضعف قيصر معاوية وظنه موزع القونى، لا يُعنى بشيء إلا بإفناء جيش علي، والقضاء عليه.. فما هو إلا ان بعث قيصر يهدد معاوية ويطلب اليه ان يؤدي اليه الجزية.. يا الله.. معاوية يمثل الدولة الاسلاميه الغازية الفاتحة التي ضربت الجزية على الفرس وعلى الروم، يطلب اليه أن يؤدي هو الجزية؟ وهل صار من الهوان بحيث يطمع فيه الطامعون من بني الروم؟ لا، لا، لقد بادر معاوية بلطمة قذف بها وجه قيصر، وحسم الأمر سريعاً ليعرف قيصر الروم ان نفسه قد كذبت، وان معاوية قد يرى بأن يدفن ما بينه وبين علي وان ينسى كل شيء في سبيل سلامة الأمة وصيانة الدولة...

لقد بادر معاوية وهو في موقف ضنك من الحرب، وأرسل لقيصر الروم يقول: ان لم تكف عما سولت لك نفسك، فمن الغد قد أتفق أنا وابن عمي علي ونجتمع سوياً على حربك...

ولقد كان لهذا الرد الحازم أثره الفعّال في نفس قيصر الروم، فتردد في طلب الجزية من معاوية، ثم تخاذل وانصرف عن أن ينال من دولة الإسلام منالاً...

رحم الله معاوية وعلياً، معاوية الذي رأى أن علياً منه وإليه، وان الخلاف بينها لا يتجاوز أيها أحق أن يلي أمر المسلمين، وان يقيم دين الله، وأن يُعلي كلمة الحق...

أما قيصر فهو قيصر، لا يريد غير تحطيم الدين، وإلا زوال كلمة المسلمين.

وانما تحقق للمسلمين نصر الله، وإنما سعد المجتمع بأبنائه، يوم كان الفرد لأمتة لا لنفسه، وكان نظره لمجتمعه لا لذاته - يوم كان يعمل للفكرة والعقيدة، لا للجاه والسلطان. هنالك انبعثت الشجاعة الاسلامية، وسهلت التفدية بالنفس في سبيل الله، وفي سبيل الحق...

فليرجع كل الى نفسه يسألها : هل هو يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؟  
وهل هو يألم لأخيه كما يألم لنفسه ، وهل هو يشعر بشعور جماعته ، وهل يحس  
أنه خلية من خلايا المجتمع يحبها ما يحبه ، ويمرضها ما يمرضه .

إن كان الأمر كذلك ، فهو إيدان بأن البرء يتمشى في جسم المجتمع ، وإلا  
فليعالج كل شاك وكل ساخط نفسه أولاً من قبل أن يرفع الصوت عالياً بالحسرة  
وبالسخط .

( وإن الله لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسِهِمْ )

## عدل الانسان مع نفسه

روى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، أن رسول الله ﷺ قال : ( كلوا ، واشربوا ، وتصدقوا ، والبسوا ، في غير نخيلة ولا سرف ، فإن الله يحب ان يرى آثار نعمته على عبده ) .

هذا هو الأدب المحمدي ، الجامع لكل الفضائل ، والسياسة الحكيمة لإنفاق المال فيما يصلح عليه امر المجتمعات والأفراد، فلو ان الانسان عدل مع نفسه، فلم يذها بالبخل ، ولم يهلكها بالإسراف ، ثم عدل مع غيره ، فأنفق الفضل من ماله ، وأفاء على الناس مما أفاء الله عليه ، حتى تنكسر سورة الأحقاد ، ويذهب غيظ القلوب ، وتنطفئ حرارة الحرمان اذن لعاش الناس في ظلال الأخوة لا تزعجهم المزعجات ، ولا تهزهم الهزات ...

انه ليس أفسد للنفوس ، ولا أخبث للسرائر من البخل الذي لا يعالج قبل ان يستفحل ، وقبل ان ينقلب من بخل الانسان على غيره ، الى بخل الانسان على نفسه . وما أشد الويلات التي يجلبها البخل على النفس ... حتى ليصبح المال موضع التقديس ، ويصبح البخيل عبداً للمال ، بعد ان كان المال وسيلة لسعادة الانسان .

أنت للمال اذا أمسكته      فاذا أنفقته فالمال لك

يجوع البخيل فلا يأكل ، ويظمأ فلا يشرب ، ويعرى فلا يلبس ، وانها

لجنايات على النفس توشك ان تهلكها إهلاكاً .

ويأكل المسرف أكلاً لماً ، ويجمع ألوان الطعام على مائدته جمعاً ، ويشغل نفسه طوال يومه وطرقاتاً من ليله ، بما يأكله حاراً وبارداً ، وجافاً ويابساً ، وحلواً ومرراً ، فلا ينقضي غير قليل ، حتى تتجمع الأمراض ، وتستحكم العلل ، فهناك تمدد المعدة ، وهناك سوء الهضم ، وهناك اضطراب الأمعاء ، وهناك التخمة ، وهناك تصلب الشرايين ، وهناك اقتراب من الفناء ( وربّ أكلة منعت أكلات ) .

وفي الآثار ( إن من السرف أن تأكل كل ما اشتيت ) .

وإن من الناس من يخادع نفسه ، ويخادع الناس ، فهو يكدر المال أكداً ، ويفتح لجمعه نوافذ وأبواباً ، ثم يبني على الطوى حرماناً للنفس وتقشفاً وزهداً في متاع الدنيا . يتبلغ بالكسرة ، ويكتفي باللقمة ، ولا يستحي ان يسمي هذا ورعاً وزهداً ، والله يعلم ان هذا لا يسمى الا غلواً وبخلًا وشحاً ، وأنه هو وذلك الذي يُبشِّمُ نفسه بالأطعمة ترفاً وطيشاً ، سواء بسواء ، كلاهما مسرف ، وكلاهما مخادع ، وكلاهما هالك لا محالة ، أو ليس الله العليمُ بخلقِهِ ، الرحيمُ بعبادِهِ ، يقول : ( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) . ويقول : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) . والإسراف والتبذير كالبلخل والتقتير ، كلاهما انحراف عن سواء السبيل .

أرشدنا الحديث الشريف ان تأكل وان تشرب « وان نلبس جميل الثياب » لأن هذه نعم أنعم الله بها علينا لمنفعتنا ، ولكن بشرطة ألا نسرف ، والإسراف تجاوز الحد ، فاذا لم يأكل الانسان الا اذا جاع فليس مسرفاً ، واذا شعر بالشبع وكف عن الطعام فليس مسرفاً ، واذا لم يأكل الا أخبث الزاد ، وهو قادر على أطيبه فهو مسرف ، واذا أمعن في ازدراد الطعام بعد أن شبع فهو مسرف . والسيدة التي تكلف زوجها ونفسها أعباء الملابس ، وتحب أن تجعل لكل زيارة

غُلالةٌ جديدةٌ ، وحُلَّةٌ ممتازةٌ ، ولا ترضى ان تبقى حلة العام للعام المقبل ، ولا ان ترتدي اليوم ملابس الأمس ، كل هذا إسراف وتبذير وانه لمَخَيَلَةٌ لعُجْبٍ وكبرياء ، وانه ليؤذن بزوال النعم ، وحلول النقم ...

والرجل الذي أسبغ الله عليه نعمته ، فأخفاها ، وأعطاه أسباب السعادة فدفنها ووأدها ، وبدا للناس في الثوب الخلق ، والشكل الرزي - مثل هذا الانسان مسرف مرتاب في الثقة بالله .

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ).

روى أبو داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في ثوب دون ، فقال : ألك مال ؟ قال : نعم . قال : من أي المال ؟ قال : قد أتاني الله من الإبل والغنم والحيل والرقيق . قال : ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

فالعدلَ العدلَ مع النفس ، والعدلَ مع المجتمع . وما أهلك الأمم الا الافراطُ أو التفريط ، والا الجبروتُ والكبرياء .  
ورحم الله من سمع كلام النبوة ووعاه .

## ما هي أفضل الأعمال؟

روى البخاري ومسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله.

صحابه رسول الله - ﷺ - قد هذبتهُم مدرسة النبوة، وروّت نفوسهم ينابيع الرسالة، فهم في شغل دائم من أمر دينهم وهدْي نبيهم، يستزيدون من الخير. ويحرصون على البر، ويتسابقون فيما يصلحُ عليه أمرهم في الدنيا والآخرة، لهذا لا ينفكون يسألون النبي - ﷺ - أي الأعمال أفضل، وأي الأعمال أنفع، وأيا أعظم أجراً، وأيا أوفر ثواباً، وأيا يقرب من الله زلفى.

ورسول الله ﷺ، لا ينفكُ يجيبهم على ما يسألون، يجيبهم إجابةً وجيزةً، ولكنها جامعةٌ شاملةٌ، تنطوي فيها كل مسالك الخير، وتنتفتح عندها جميع أبواب البر. وهي الأساس، الذي لولاه ما قام بناء.

يقول - عليه السلام - في تعريف أصحابه، ما هي أفضل الأعمال؟ إنها الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله. كلمة وجيزة، ولكن ينبعث من بين حروفها، كل ما يملأ حياة الفرد، وحياة الأمم سعادةً وعزة وقوة وأمناً وسلاماً وطمأنينة وأملاً ورجاءً وتفاؤلاً.

الإيمان بالله يجعل من قلب الآدمي حصناً تتحطم أمامه أحداث الزمن، وترتدّ عنده موجات الحياة العاتية، وتنبعث منه أشعةٌ وضاعةٌ تبدد كل حالكة

من الايام . ليس الايمان كلمة يلوکها اللسان ، ولا لفظاً يتزين به الانسان ، وانما هو روح يسري في الجوارح والاعضاء ، ثم يتمثل عملاً كريماً نافعاً متصلاً ، ويجري على اللسان بياناً حقاً صادقاً لا لغو فيه ولا هجر ولا عبث ولا مجانة ، وتضميره السرائر ، رغبة في كل خير ، وحباً لكل انسان ، وعطفاً ورحمة بكل ذي كبد رطبة .

كان بعض الاعراب - في فجر الدعوة الاسلامية - ينطق بالشهادتين ، ويفعل ما يفعله المسلمون ، ثم يقول اني مؤمن ، من قبل ان تُعرق فيه معاني الايمان ، ومن قبل ان يضطلع باعباء الايمان ، ومن قبل ان يُختبر بالحن والشدائد ، التي تمحص الذين آمنوا ، وتمحق الكافرين . وكان هؤلاء الاعراب يحسبون انفسهم مؤمنين ، بمجرد اسلامهم ، ومن قبل ان تظهر ثمرات الايمان في اعمالهم ، وفي معاملاتهم ، ولدى شدائد الحياة ، وعند اختيارهم بما يحکمه ويقدره الله :

( أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ، وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ - أَيُخْتَبَرُونَ وَیَمْتَحَنُونَ - وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) .

ولقد رد الله تعالى على كل من يدعي الايمان ، من قبل ان تبدو في اعماله ثمرات الايمان ، قال تقدست آياته : ( قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا . قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْمَأْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ) . إذن ، الإيمان قوة فياضة بالاعمال الصالحة ، صبرة على محن الحياة ، وان الامانة التي يلقيها الايمان على كواهل المؤمنين ، امانة عظيمة القدر ، جليلة الخطر : ( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا .

وأما الجهادُ في سبيل الله ، فهو أثرٌ من آثار الإيمان بالله ، لأن الجهاد إيمانٌ بإحدى الحسنين : إما نصر فحياة ماجدة عزيزة يعتز بها الإنسان ، وإما موتٌ يبعث بالشهيد الى حياةٍ أعز وأكرم ، والى رضوان من الله اكبر .

ولقد كان المؤمنون من اصحاب رسول الله ﷺ ، يتدافعون الى ساحات الجهاد ، ويبلغ الحزن بهم أقساه وأعنفه ، اذا لم يجدوا عدّةَ الجهاد ، ولا راحة الجهاد .

كان - عليه السلام - يُجَهِّز جيشاً ، ويُعدُّ عدته ، فجاءه سبعة من فقهاء الصحابة الفقراء ، اعيامهم ان يجدوا رواحل تحمّلهم الى ساحات القتال ، وطلبوا اليه - عليه السلام - ان يحملهم مع المجاهدين ، وكانت الحملة في ساعة العسرة ، وفي شدةٍ من الوقت ، فقال لهم ﷺ : ( لا اجد ما احملكم عليه ) وهو رد صادق ليس فيه إعناف ولا إغصاب ، وكان حسبهم وفاءً لعقيدتهم ما فعلوه ، وما لا قبَلَ لهم بدفعه ، لكنهم لم يرضوا أن يكونوا مع الخوالف ، فحزنت نفوسهم ، وفاضت بالعبرة عيونهم ، فأنزل الله فيهم آيات تطيب خواطرهم ، وتؤنس نفوسهم ، انزل الله : ( لَيْسَ عَلَى الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا الله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفورٌ رحيم . ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ) .

لكن حزن هؤلاء الابطال لم يدم طويلا، فقد جهّز بعضهم عثمان بن عفان،  
وجهّز الباقيين العباس بن عبد المطلب، فرقأت الدموع المنهمرة، وهدأت النفوس  
المتلهفة على الجهاد في سبيل الله .  
هل يذكر كل مؤمن في عمله وفي معاملته ، معاني الايمان بالله ؟ ان الاعمال  
وحدها هي دليل الايمان .

## ليلة النصف من شعبان موسم للدعاء وعيد للاجابة

يقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على إحياء هذه الليلة المباركة، ليلة النصف من شعبان ، وهم يستلهمون في ساعاتها ولحظاتها اكرم الذكريات ، ويستمنحون الله فيها رحمته وتوفيقه وهداه - وذلك بأنها ليلة الاستجابة . استجاب الله فيها لرسوله محمد ﷺ ، ما كان يتطلع اليه ، وأناله ما كان يرجوه ، وحقق له فيها أمنية عزيزة عليه ، غالية عنده ، تلك الأمنية التي وصفها ووصفت تحقيقها الآية الكريمة : ( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ) نعم ، لقد تحولت القبلة الى الكعبة في البيت الحرام ، وقد كانت من قبل القبلة الى بيت المقدس ، وكان هذا التحول يوم الثلاثاء للنصف من شعبان في السنة الثانية من الهجرة .

لقد كانت قبلة الصلاة أولاً بيت المقدس ، وكان عليه الصلاة والسلام من شدة حبه للكعبة ، وشغفه بها ، يجعلها بينه وبين بيت المقدس كلما قام الى الصلاة طوال ايامه بمكة من قبل الهجرة ، فلما هاجر الى المدينة ، بقيت قبلته في الصلاة بيت المقدس ، وان كان قد بقي فؤاده يهفو الى وطنه ، ويحن الى استقبال الكعبة المشرفة ، ويستشرف الى أمر من الله ، يؤذن بتحويل القبلة اليها ...

نعم ان بقاء القبلة الى صخرة بيت المقدس بعيد الهجرة ، قد أَلْف قلوباً  
ليهود يثرب ، ويسر سبيل الهداية ، وأشار الى وحدة الدين ، ووحدة العبادة ،  
ووحدة الرسالة ، الإلهية ولكن هل أُجِدَّتْ هذه المعاني السامية في قلوب  
هي كالحجارة أو أشد قسوة ، لا ... انها لم تُجَدِّ ، بل لقد اشتد كيد الجاحدين  
من اليهود وحسدوا رسول الله على ما آتاه الله من فضله ، حتى لقد تأمروا على  
قتله - ﷺ - ودسوا له السم في الطعام ، وتحالفوا مع المنافقين لكي يعصفوا  
بالدعوة المحمدية .

وطالت الأيام ، وامتد جبل الغدر من اليهود ومن المنافقين ، وثاقت نفسه  
ﷺ الى ان ينصرف عن قبلة اليهود ، وألا يشركهم في صور العبادة والا  
يشاكلهم في جهاتها - بعد أن انخرفت قلوبهم عن الحق ، وأمعنوا في العناد ،  
وأيأسوا منهم محمداً ﷺ : ( ولئن آتيتَ الذين أوتوا الكتابَ بكل  
آيةٍ ما تبِعُوا قِبَلَتَكَ ) . فكان عليه الصلاة والسلام يتربص الوقت الذي  
ينصرف فيه عن مشاكلتهم ، فتصير قبلة المسلمين - الكعبة - البيت الحرام .  
ذلك لأنها عزيزة عليه ﷺ ولأنها رمز التوحيد الذي اقامه ابراهيم خليل الله ،  
ولأنها محل فخر العرب وشرفهم ، وموضع تقديسهم .

كان - عليه الصلاة والسلام - في ذلك الوقت يتطلع الى جوانب الأفق ،  
ويصعد طرفه الى السماء ، ويتشوف للقاء ( جبريل ) عسى الله ان يحقق له هذا  
الأمل المنشود ، أمل تحويل القبلة الى الكعبة ، التي لم تغب عن عينه ، ولم يتغير  
حبها في فؤاده ، وكيف؟ وهو عليه الصلاة والسلام يتمثل دائماً يوم غادر الكعبة ،  
وغادر وطنه فراراً بعقيدته ، وكان يود ان لو بقي يجوار البيت العتيق ليخلصه  
من دنس الإشراك ، وليعيد اليه جلال التوحيد ، وليطهره للطائفين والعاكفين  
والركع السجود ، كما امر الله خليله ابراهيم من قبل .

انه ﷺ كان لا يزال يذكر ، يوم تهباً للهجرة ، وقد ملأ قلبه شعور الأسف

على مغادرة وطنه ، وعلى تركه مدارج نشأته ، وابتعاده عن هذا الاشعاع  
الروحي ، الذي ينبعث من جوانب الكعبة ...

كان - عليه السلام - يذكر الساعة الرهيبة التي ودع فيها الكعبة قبل ازماعه  
الرحيل ، وقد اهتزت مشاعره بأنبل معاني الوفاء والحب . فشخص ببصره الى  
البيت العتيق ، وجعل يناجيه ، ويقول : ( والله انك لأحب أرض الله اليّ ،  
وانك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن اهلك أخرجوني ما خرجت ) فيما  
أبرها وأحنها عاطفة وطنية ، وما أكرمه وفاءً محمدياً !!

من أجل هذا كله ، كانت قرّة عينه - عليه السلام - وراحة نفسه ، ان يشرع  
الله له القبلة الى الكعبة . وبينما هو - عليه الصلاة والسلام - يصلي الظهر في مسجد  
بني سلمة في ضواحي المدينة . وبعد ركعتين من الصلاة ، نزلت عليه آية تحويل  
الكعبة فطابت نفسه الشريفة ، وتحول وهو في الصلاة شطر الكعبة . وسُمّي  
المسجدُ من ذلك الوقت بمسجد القبلتين ، وكان ذلك في النصف من شعبان .  
فيا له من موسم تحفه البركات ، وتحوطه أعزّ الذكريات ، وتجلّي في آفاقه  
علامات القبول ، وتلوح في صبحه ومسائه إشراقات الفيوضات ..

ولقد حدث في أعقاب هذا التشريع وجعل الكعبة قبلة العبادة ، ان ارجف  
المرجفون ، واتخذوا من هذا الحادث سبيلاً لزلزلة العقيدة الاسلامية ، وبث  
الريب والشكوك ، فالمشركون جعلوا يقولون : - رجع محمد الى قبلتنا ،  
وسيرجع عن دينه الى ديننا ؟ ! واليهود طفقوا يبشون سمومهم ، ويقولون : إن محمداً  
قد انصرف عن قبلة الأنبياء وانها لقبلتنا !! والمنافقون أخذوا يشككون  
المسلمين في عقائدهم ، ويقولون انها الحيرة والتردد ، وان محمداً ، لا يدوم على حال !  
فلهؤلاء جميعاً نزلت الآيات تُسفه مقالاتهم ، وتزري بعقولهم :

( سيقولُ السفهاءُ مِنَ الناسِ ما ولاهم عن قبيلتهم التي كانوا عليها ،  
قلُ لِلّهِ المشرقُ والمغربُ ، يَهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيمٍ .

قطعت الآية على هؤلاء وهؤلاء أسباب التضليل والإرجاف ، ووصمتهم في مقالاتهم بأنهم سفهاء خفاف الاحلام ، لا يعرفون من الدين الا ظواهره واشكاله ، أما أسرارهم وحقائقهم ، فقد حجبتها عنهم احقادهم ، وصرفتهم عن تفهيمها سوءاتهم .

هم يحسبون ان للجهات في ذاتها شرقاً أو غرباً فضلاً وشرفاً ، وان للقبلة بذاتها وتكريمها تكريماً وتمجيداً ، والحق ان الله تعالى الذي له المشرق والمغرب ، قد يجعل للناس قبلة يتجهون اليها زمناً من الأزمان لأن الخير لهم في ذلك ، ثم يجعل لهم قبلة غيرها يتجهون اليها بعد ، لأن الخير لهم ايضاً في ذلك ، وفي كلا الأمرين ليس المقصود الا عبادة الله وحده ، واسلام النفس لله وحده . فها دام التوجه اطاعة الله ، وتوحيداً لله ، فسواء أكان الاتجاه شرقاً أو غرباً ، ويمنة أو يسرة :

( والله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثم وجه الله ) .

اللهم يا ذا الحكمة البالغة ، والقدرة الكاملة ، والرحمة السابغة . كما جعلت هذه الذكرى استجابة لدعاء نبيك ، وارضاء لضرعة رسولك ، فاستجب لأمتك فتوحد لك عبوديتهم وان تعتبر بالحق نفوسهم ، وأن تجتمع على الخير كلمتهم ، وأن يصلح آخر أمرهم ، كما صلح أوله ، بالتفدية والإيثار . ولقد قلت يا الله ، ادعوني استجب ، فهنا نحن ندعوك ، كما دعاك محمد رسولك ، سبحانه لا اله الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك .

## الايان الحق ، ثمرة الجهاد

يقول الحق جلّت آياته: ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) .

إن للايمان علامات ، وإن للايمان لتبعات ، وإن للمؤمنين - حقاً - لابتلاءات واختبارات . فليس يكفي ، وليس ينبغي ان يتحرك اللسان ، بكلمة الإيمان ، ثم لا يظهر لها أي أثر في الوجدان ، وليس بنافع ولا شافع ايمان يقف معه المؤمن مكتوف اليدين ، مغلول الراحتين ، يرى اخوانه في الانسانية ، بل إخوانه في العقيدة والوطنية والعربية ، ينفرون خفافاً وثقالاً ، زرافات ووحداناً ، يكافحون البغي والعدوان ، ويذودون عن شرف الاوطان . وفي وسط هذا الصراع الماجد لا تزال نرى ذلك الذي يخادع نفسه بإيمانه ، وهو غارق في لهوه ، متقلب في متاعه ، غافل عن جند الله ، له مال ، ولكنه غير مبذول ، وفيه عون ، ولكنه غير مأمول .

ان الله لن يترك مؤمناً ، الى كلمة الايمان ، التي يلوكها اللسان :  
( أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ، وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) :  
- ( وهم لا يختبرون بالشدائد والحروب ) - ولقد فتننا الذين من قبلهم ،  
فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) .

ان الايمان الحق ، لا يلبس قلب انسان ، إلا ويكون اول اعماله ، أن يقدم روحه وماله في سبيل الايمان . يقدم روحه ، ولا يرهب الموت ، لأن الله تعالى يقول : ( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) . ويقدم ماله بسخاء وطيب نفس ، لأن بذل المال في هذه المواطن ، يحفظ المال بعد ذلك من أن يُستلب ومن أن يغتال ، بل يحفظ النفوس من ان تهلك ، يقول تعالى : ( وأنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ) ، فترك البذل ، وترك التفتدية ، مهلكة للنفوس ، متلفة للأموال .

لقد تبين الرشد من الغي ، وتجلي في بيان القرآن ، ان الايمان الحق ، هو الذي يخالط شغاف القلب ، ويسري في الجوارح ، فيدفع الى الهجرة في سبيل الله ، والى المسارعة نحو ميادين الجهاد ، والى نصره المظلوم ، والى إيوائه اللاجئ ، والى بسط الأيدي بالبذل والانفاق ، وهناك تعتر الأمم بحياة كريمة ، بعبشة عزيزة ، برزق كريم ، وبثراء عظيم .

لقد وصف الله في آياته ضرورياً من النفاق . والنفاق شر ضرور الكفر والجهود . فمن ضرور النفاق ، التثاقل عن استجابة داعي الحق ، والإخلاد الى الراحة والضمن بالمال على المجاهدين ، وهناك الذل المقيم ، والعيش الذميم ، والثراء الاثيم ، يقول وعيد الله تعالى : ( فرِح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ) .

ولقد أبانت الآيات البينات ، انه لا عذر لقادر في يوم البأس ولا لغني في يوم البذل ، وان الله يحصي أعمال العاملين .. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .. يقول وعد الله تعالى : ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله - عن الحسق الذي خرج يدعو

اليه الرسول - ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا  
نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ في سبيل الله — يعني مشقة وجوع — ولا يطأون  
موطناً يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل  
صالح ، ان الله لا يضيع اجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا  
كبيرة ، ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ، ليجزيهم الله أحسن ما كانوا  
يعملون )

فيا ايها المؤمنون حقاً: لقد تنافس في الجهاد المجاهدون ، واستبق الى الخيرات  
المستبقون ، وان هذه هي ايام التمحيص والاختبار ، أيام الصحف المطهرة  
الخالدة ، تحصي فيها ملائكة الله اعمال الابرار . وانكم لن تنالوا البر ، حتى  
تنفقوا مما تحبون .

لقد روى البخاري ومسلم ، أن أبا طلحة سمع ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما  
تحبون ) فجعل أحب أمواله اليه ، صدقة في سبيل الله ، فقال له النبي ﷺ :  
( بخ بخ ذلك مال رابح ) .

وسمعا زيد بن حارثة ، فجاء بفرس لم يكن له مال احب اليه منها ، فقال:  
هي يارسول الله صدقة ، فقبلها ﷺ .

الا لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

## حقوق الجوار

روى البخاري عن أبي شريح رضي الله عنه . قال . قال رسول الله ﷺ :  
( والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ) . قال أصحاب رسول الله :  
لقد خاب وخسر ، من هو يا رسول الله ؟ ؟ ( قال : الذي لا يأمن جاره )  
بوائقه . ) .

قسم بالله عظيم ، يبتدىء به النبي الكريم ثم يكرره تأكيداً لدلالته . ولو  
ان رسول الله ﷺ اكتفى بالخبر من غير قسم . لكان قوله الصدق ماثلاً ، والحق  
قاطعاً فكيف بالقسم المؤكد ، وبالمقسم الصادق الأمين ؟ اذن ، المقسم عليه  
أمرٌ جليل الشأن ، وان قضية الجوار لعظيمة الخطر .

كرر - عليه السلام - القسم ، ولم يذكر المسند اليه ، ولم يبين من هو الذي  
لا يتحقق ايمانه ولا يكمل يقينه ، فهلعت قلوب أصحابه ، واشفقوا من هذا  
الخسران المبين ، واستشرفت نفوسهم لتعيين هذا الرجل الذي سلب نعمة  
الايمن وهم من فرط حرصهم على تعرفه ، وتكرار رسول الله ﷺ سارعوا الى  
إقرار الخبر ، فبادروا يقولون لرسول الله : صدقت . صدقت . لقد خاب  
وخسر ، ولكن من هو يا رسول الله ؟ من هو الذي تقسم بأنه لا يؤمن ؟ فقال :  
( الذي لا يأمن جاره ) بوائقه . ) .

والبوائق - جمع بائقة - وهي الفعلة من أفعال الشر، فالبوائق هي الشرور،  
والإيذاء . وهي عامة شاملة لكل ما يؤذي الجار إيذاء نفسياً كالإعراض عنه  
وتجاهل أمره ، والتجهم عند لقائه و إعلان السرور في ساعة حزنه ، والحزن  
عند فرحه . وكذلك إيذاء الجار مادياً كمشاكسته وملاحاته وطرح الأذى  
عليه ومشاقته ونهر أطفاله ، والركض فوق سقفه ، والهدم في جداره وإغلاق  
راحتة ، وإطلاق المذياع يوقظ النائمين ، ويزعج المرضى . كل هذا وأمثاله -  
بوائق وشرور ، إذا لم يكف عنها الجار ، كان ذلك مؤذناً بسلب الإيمان  
والعياذ بالله .

ان رسول الله ﷺ ما أقسم على حرمة الجوار ، ولا على حق الجار ، وما  
أنذر بهذا الإنذار الشديد الا اتباعاً لأمر الله وإيماناً بكتاب الله .

\*\*\*

والجار من تجاوره وتلقاه في غدوك ورواحك وفي صباحك ومساءلك ،  
وليس 'يحدّد' الجوار بالديار ، ولا بالأذرع وإنما يحدّدُه العرف . فرب من  
يساكنك في ضاحية تلقاه كل يوم فهو جار ، وإن لم تتلاصق الديار .

وإكرام الجار من أخلاق العرب التي امتدحها الإسلام وعظّم أمرها ، ولقد  
كان واحدهم يأتيه العائذ مستجيراً ، ويقول : ( أنا جارك - أنا في جوارك ) ،  
فيحق له ما يحق للدفاع عن النفس والعرض ، ويقول شاعرهم :

ونكرم جارنا ما دام فينا      ونتبعه الكرامة حيث مالا

ويروي البخاري عن عبدالله بن عمر ، أنه 'ذبح' له شاة فجعل يقول لغلامه :

أهديتُ لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ) .

فهذا عبد الله بن عمر يقرر أن البر بالجار يشمل كل جار مسلماً، أم غير مسلم، وناهيك بفقهاء ابن عمر، وعلمه ودينه وتقواه .

إن كل مؤمن يحـرص على إيمانه ، ويرجو من الله قبول أعماله ، حري به ان يقف طويلاً أمام هذا الحديث الصحيح الصريح المؤكّد ، ليرى ما عساه يكون نقصاً في معاملة الجار ، وفي التهاون بحقوق الجوار .

نعوذ بالله من سلب الايمان .

\*\*\*

ولقد امر الله نبيه ﷺ ان يخيّر من يستجير به، وان يؤمن من استأمنه - حتى ولو كان مشركاً - متى طلب الجوار ، إما لكي يسمع كلام الله ، وإما ليعلم ما يدعو اليه هذا الدين ، وإما لمجرد لقاء رسول الله ﷺ ، وان لم يذكر سبباً للاستجارة ، وقد أوجب الله ان يبقى الأمان ، لمن طلب الجوار ، حتى يبلغ المكان الذي يأمن فيه على نفسه، ويكون حرّاً في عقيدته لا يقهر، ولا يُغتال - يقول تعالى: ( وإن أحدٌ من المشركين استجارك ، فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه ما مَنه . )

\*\*\*

يقول الله تعالى ، وهو أصدق القائلين :

( واعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي

القريب واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب  
بالجنب وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم، إن الله لا يحب من كان  
مخنلاً فخوراً .

آية "جامعة لمعالي الامور"، قرنت في نظام واحد طائفة من الفضائل  
الاسلامية، في عشر وصايا، ثم 'ختمت'، بوعيد شديد، لكل من اهل تلك  
لوصايا، ونبذ هذه الاوامر الالهية، اختيلاً وفخاراً، واعتداداً بالنفس وحرصاً  
على الذاتية. لأن المختال يرى نفسه اعلى من نفوس الناس، والمختال هو الذي  
تمكنت من نفسه ملكة الكبرياء، حتى ظهر اثرها في عمله وفي شمائله، والفخور  
هو المتبجح بالحديث عن نفسه وتزكية ذاته واحتقار غيره، وكلا الصنفين لا  
يرى نفسه مطالباً بحق لوالديه ولا لذوي قرباه، ولا لليتيم ولا للمسكين، ولا  
للجار قريباً أم بعيداً، ولا لابن سبيل ولا لعبد ولا لأمة - والعياذ بالله - قد  
'فتن بنفسه'، وسُحِر في حسه فلا يرجى منه بر ولا احسان. وقد أكدت الآية  
في ختامها، أن التارك لهذه الوصايا العشر، وهو المختال الفخور، بغيبض من الله،  
مطروود عن رحمته .

وأول الوصايا التي انتظمتها الآية، بل رأسها وعمادها، الأمر بعبادة الله  
وحده والعبادة هي أقصى مراتب الخضوع والطاعة، وهي الخشوع لسultan الله  
تعالى في السر والجهر. وان النية الصالحة، والعزم الخيّر، لتجعل من الاعمال  
المعتادة - عبادات وقربات - فالزراع والتاجر والصانع، اذا ما كان الباعث  
لهم على عملهم قوت أهليهم، ورعاية ذويهم، ثم الافاضة بما زاد على الفقراء  
والمساكين والجيران والمخالطين لهم، ثم المساهمة في أعمال البر، والمصالح العامة،

إن الزراعة والتجارة والصناعة وما إلى ذلك تصير بهذه النيات الصالحات ، من أفضل العبادات وأبر القربات .

وبعد الأمر بعبادة الله نهى سبحانه وتعالى العباد عن ان يشوب عبادتهم وخضوعهم شوب من إشراك ، أي إشراك ، لأي شيء ، وفي كلمة ( ولا تشركوا به شيئاً ) بهذا التنكير والتعبير اشارةً بليغة الى أن شيئاً من الكائنات ، لا يصح في العقول أن يتسامى او يقرب من المعبود الواحد القهار ، فكيف يشترك معه في أن يُعبد؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ذكرت الآية بعد هذا ان الله يطلب الإحسان والبر والوفاء الى اصناف من الناس ، يتكون منهم البيت والأسرة والبيئة والجماعة ، وذلك لكي تتوثق الروابط ، وتضامن المودات ، وتُرعى وشائج القربى ، ويسلم المجتمع من الآفات الاجتماعية .

وإذا كانت الآية الكريمة ، قد بدأت آمرة بعبادة الله وحده ، وإنها لعباد الدين ، ومنار الرشد ، فإن ما بعدها من وصايا قد ناله شرف هذا الاقتران ، فعظم شأنه ، وجل خطره . وما ظنك بأمر يطلبها الله تعالى ، ويقرنها الى الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، لا جرم ان التفريط فيها ، والتهاون بها ، فيه شر مستطير ، وفيه فساد في الارض . أليس ترك الاحسان الى الوالدين ، والى ذوي القربى والى اليتامى الذين فقدوا رعاتهم وحماقتهم ، والى المساكين الذين يوشك الحقد ان يدفعهم الى الطغيان والعدوان ، وترك الاحسان والوفاء ، الى الجار ، والى المستجير - أليس ذلك كله ، إضعافاً لنظام البيوت ، وفصماً لعرى الجماعات ، وانما تتألف الأمم من بيوت ومن جماعات .

طلبت الآية الاحسان في المعاملة بالوالدين ، وبذوي القربى واليتامى ، والمساكين

وابن السبيل - وهو المسافر والضيف الذي يحل برحابتك ، كأنما السبيل ' أو  
أو الطريق هو أبوه وأمه وأهله - وكذلك طلبت الآية الاحسان بالجار . وان  
الاحسان في المعاملة ، يعرفه كل أحد ، ومداره على ان تكون النفس نقيّة  
طاهرة ، تفعل الخير راغبة لا كارهة . فربّ محسن يبذل ويعطي ويمنح ، ولكنه  
يفعل ذلك ، وهو عابس كاره مقطّب الجبين . ولهذا قد ختم الله وصيته بالاحسان  
لوالدين بقوله ( ربكم اعلم بما في نفوسكم ) وصدق القائل ( ولكن على ما في  
القلوب المعول ) .

والآية لم تذكر الجار وقدعته من غير تعريف وبيان ، بل ذكرته وحددت وصفه ،  
وقسمت أنواعه اهتماماً وقصداً الى ان يعرف المحسن بالجار كيف يضع إحسانه ،  
وكيف ينجو من وعيد الله ، اذا هو فرط في حق الجار ، أو اهل الوفاء  
للجوار .

فالجار ذو القربى - هو الذي يجاورك مكاناً ، ثم هو ايضاً قريب منك  
نسباً وقرباً . أما الجار الجنب ، فهو الذي يجاورك في المحلة ، ولكن داره  
ليست لصقاً بدارك ، أو هو من يجاورك داراً ، ولكنه اجبني عنك نسباً وقرباً  
أو اجبني عنك ديناً ، فالجار غير المسلم له حق الوفاء بالجوار ، وله حق  
الاحسان به . ولقد ثبت في الحديث الصحيح أنه عليه السلام كان يعود ولدأ  
مريضاً لجاره اليهودي .

أما صاحب الجنب ، فهو الذي يصحبك في سفر ، أو هو الملازم لك ،  
المنقطع عندك يرجو نفعك ورفدك ، أو هو الذي عرفته وصحبته ولو وقتاً  
قصيراً ، فهو يمشي الى جانبك ليستشيرك ويستعينك ويرى بعضهم ان صاحب  
الجنب - هو الزوجة التي قضى نظام الانسانية والفطرة ، أن  
تكون الى جانب زوجها ، فإحسان الزوج بزوجه مطلوب منه ، واحسان  
الزوجة بزوجه مطلوب منها .

هذه هي أصناف الجوار ، استقصتها الآية ، وفصلتها وأوسعها وصفاً ودقة ، وما ذلك الا إيداناً بحق الجوار وبأن يتحرى الانسانُ معه الوفاء والإحسان .

ولقد اختير في نظام الآية ، ان يعبر - بالباء - دون اللام ، فيقال : (وبالوالدين احساناً) دون (وللوالدين احساناً) وكذلك ما عطف على الوالدين ، أي واحسنوا بذوي القربى وباليتامى وبالمساكين وبالجار ذي القربى - اختير في كل ذلك تخصيصُ الباء بالمحسنِ اليه دون اللام ، ذلك ان الباء هنا تتضمن معنى التعطف بإلصاق الاحسان بمن يوجه اليه ، وتُشعر أيضاً بالصلة بين المحسن والمحسن اليه وأنه لا فرق بينها اما التعدية باللام ، فتُشعر بأن هناك طرفين متباعدين ، وان الإحسان ينتقل من احدهما للآخر . وهذا ضرب من البيان القرآني يُلقني في النفوس أن احسان المحسن بهذه الاصناف من الناس ، ومنها الجوار ، هو في الواقع راجع لنفس المحسن ، لاصق بذاته . فالمحسن منتفع بإحسانه ، مستفيد بوفائه ، تزكيةً لنفسه ، وإسعاداً لجنسه .

وحق الجار ، والوفاء له كما عني به في هذه الوصايا العشر من القرآن ، قد عني به الهدي الحمدي ، فحث عليه وبينه ، ووكدته ، ودعا اليه ، يروي أبو هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ ، قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم جاره ، قالوا : يا رسول الله ، وما حق الجار على الجار ، قال : ان سألك فأعطه ، وان استعانك فأعنه ، وان استقرضك فأقرضه ، وان دعاك فأجبه ، وان مرض فعده ، وان مات فشيعه ، وان اصابته مصيبة فعزّه ، ولا تؤذه بقتار قدرك - رائحة الطعام والشواء - الا ان تعرف له منها ، ولا ترفع عليه البناء لتسد عليه الريح ) .

والوفاء للجار من طبائع الأمة العربية ، وقد امتدحه الإسلام ، وعظّم أمره . وان احدهم ليأتيه العائذ ، مستجيراً به ، ويقول ( انا جارك - انا في جوارك ) فتحق له حرمة وصيانة وحماية كما تحمي الحرمات ، وكما يناضل الانسان عن

حياته وعن عرضه .

ولقد فرغت الى النبي ﷺ يوم فتح مكة أم هانئ - فاخته بنت أبي طالب -  
وقالت: يا رسول الله ان اخي علي بن ابي طالب يتهدد زوجي بالقتل، وقد  
أجرته، فقال ﷺ: ( قد اجرنا من أجزت يا أم هانئ ) فما أوفى الإسلام  
للجار، وما اعز الجوار وأكرمه في كنف المسلمين .

إن رعاية الجوار، والوفاء للجار من التراث الإسلامي الذي يتلقاه السلف  
عن الخلف بأمانة وصدق، يحرص عليها كل مسلم، ويحاذر ان يفرط فيها . فهذا  
أبو حنيفة فقيه المسلمين وكبير أئمتهم، كان له جار بالكوفة يغني في غرفته،  
ويستمع أبو حنيفة الى غنائه فيعجبه، ويأنس به، وكان كثيراً ما يتغنى  
بقوله :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

فلقيه رجال الشرطة ليلة فأخذوه وحبسوه . فتفقده أبو حنيفة، واخذ  
يبحث عنه، فأخبروه بما انتهى اليه امره، فدعا بثيابه الرسمية، وركب الى  
عيسى بن موسى، فقال له: ان لي جاراً أخذ عَسْكَ البارحة فحبسوه وما  
علمت منه الا خيراً، فقال عيسى: - سلموا الى ابي حنيفة كل من اخذه العسس  
أمس . فأطلقوا جميعاً، فلما خرج الفتى، دعا به ابو حنيفة، وقال له سرأ: أأست  
كنت تغني يا فتى كل ليلة ( أضاعوني وأي فتى اضاعوا ) فهل أضعنك؟ قال .  
لا والله، ولكن احسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك . قال له: فعد الى  
ما كنت تغنيه، فاني آنس به، ولم أر به بأساً . قال: أفعل .

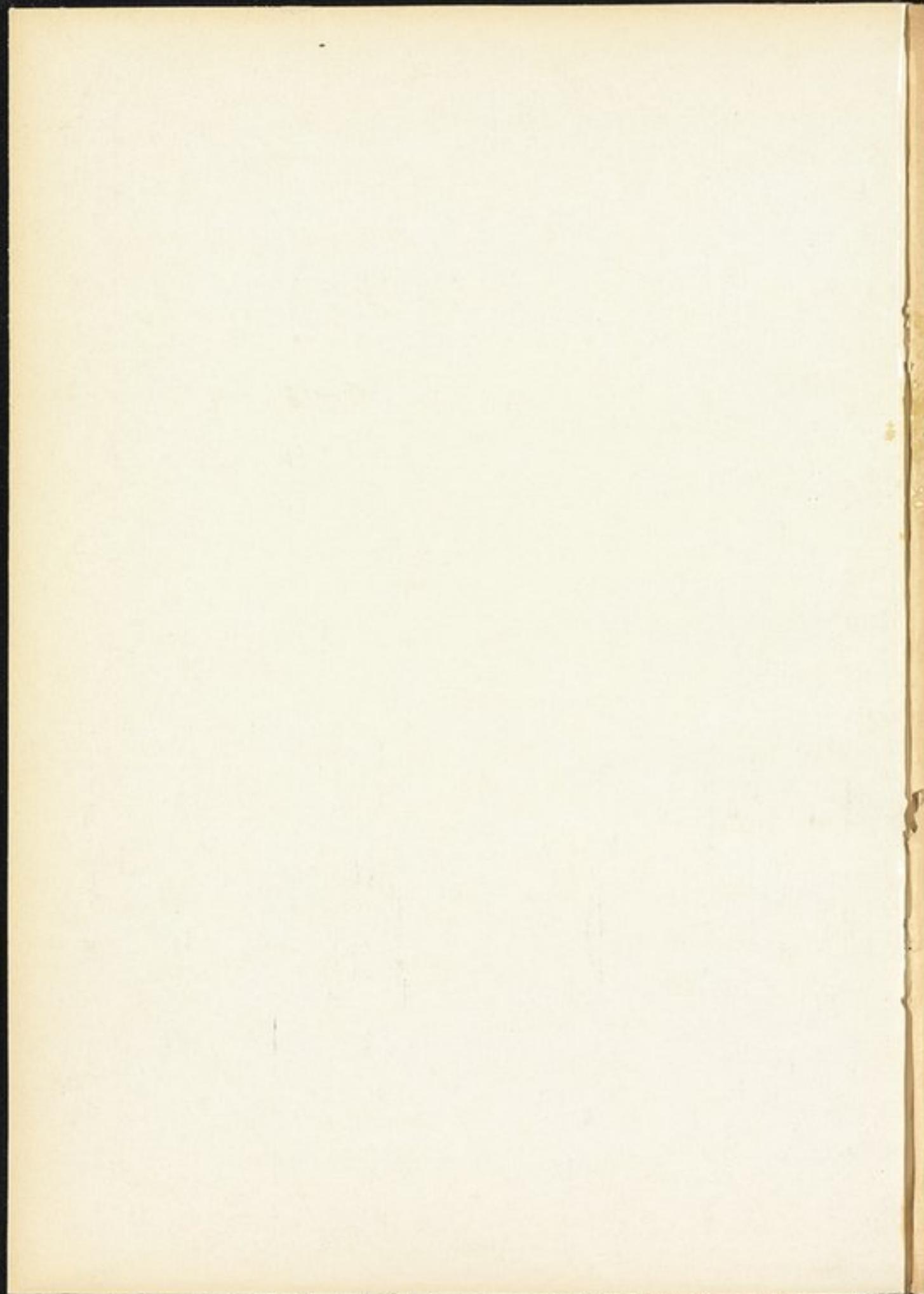
إذا عظم الوفاء للجار وعظمت رعاية الجوار، فقد عظم الوفاء للأمة،  
وعظم البر بها والاحسان إليها فليس الجار مع الجار، الا جمعية صغيرة، و"خليفة"

واحدة" ، ومنها تتكون الأمة كلها ، وان رحمة الله لتتدارك الامم في  
محنها وشدتها بفضل المحسنين فيها ، والأوفياء لها . اولئك الذين عطفت قلوبهم  
وشيجة الاسلام ، ورابطة الوطن ، فنزع الله من قلوبهم الوهن ، وشفاهها من  
الاحقاد والغيل ( إن رحمة الله قريب من المحسنين ) .

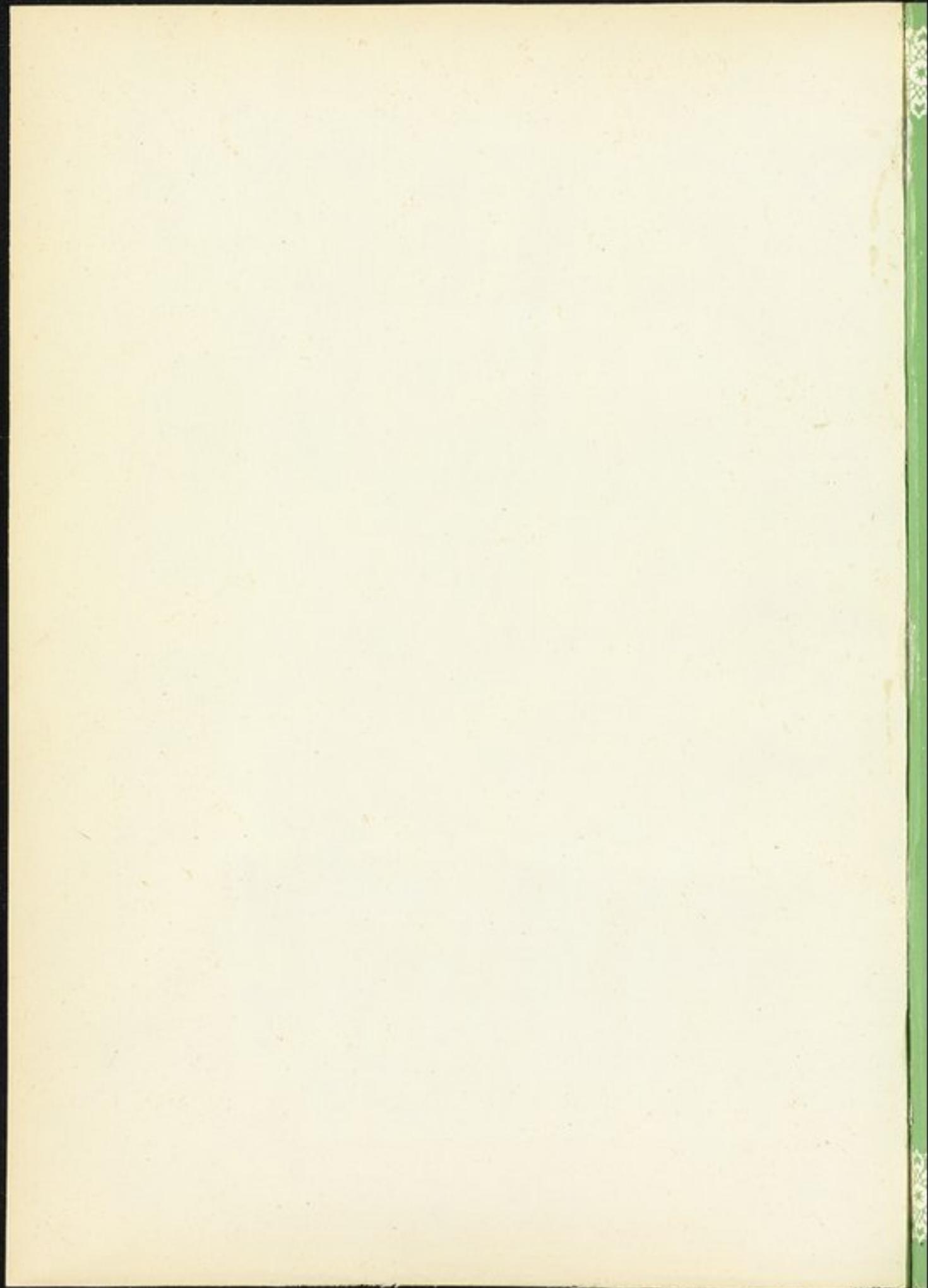
## فهرست

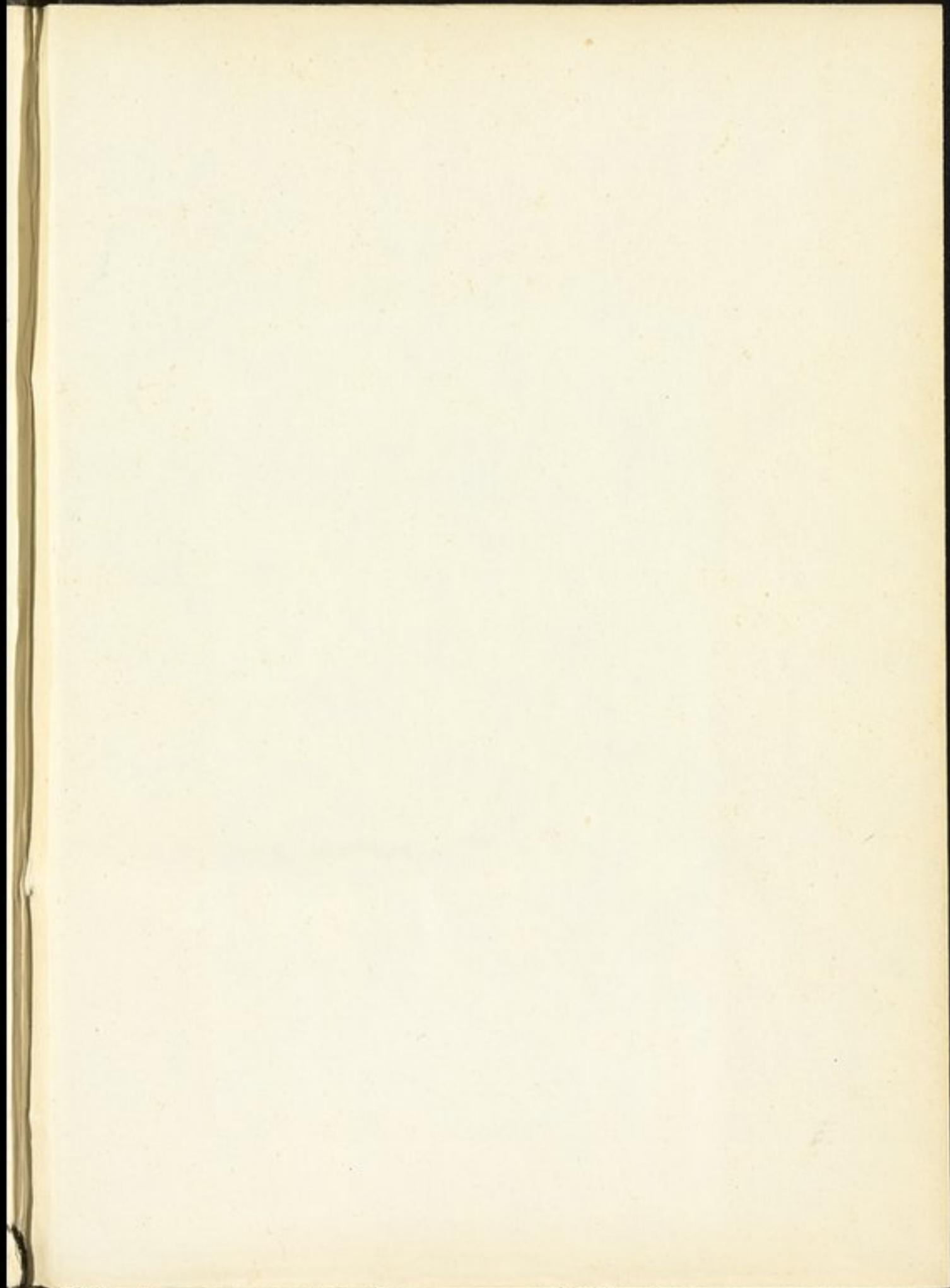
٦	كتاب كريم من شيخ الجامع الازهر
٧	خطاب بارع من وزير الاوقاف
٩	كتاب عزيز من شيخ كلية أصول الدين
١١	كلمة بنت الشاطيء
١٣	فاتحة وتعريف
١٥	جوامع الكلم النبوية
١٩	خطبة جامعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٣	معنى الحرية الشخصية
٢٦	رسول الله ﷺ يبين اسباب ضعف الامم وانهيها
٢٩	الحج مصحة روحية
٣٦	من وحي الحج ومن إلهام الزيارة - ١ -
٤٢	- ٢ -   »   »   »   »   »   »
٤٨	- ٣ -   »   »   »   »   »   »
٥٤	- ٤ -   »   »   »   »   »   »
٦٠	- ٥ -   »   »   »   »   »   »
	اكرام اليتيم ومصارف الزكاة
	حق المجتمع وحق الفرد في الاسلام

٨٢	عدل الله نافذ في الافراد والامم
٨٦	القضاء والقدر
٩١	القرآن الكريم يقرر العدالة الاجتماعية
٩٧	العدل
١٠٣	العيد الاكبر للمسلمين
١٠٧	الله اكبر
١١٢	الشكر يديم النعمة والكفر يذهبها
١١٥	الظهور شطر الايمان ح . ش .
١١٩	الفرقة والشتات خروج من قيود الإسلام
١٢٢	واجب البيت
١٢٥	« من حلف لا يفعل الخير والمعروف فهو آثم » ح. ش
١٢٨	الحجر الصحي تشريع إسلامي
١٣١	طهارة المجتمع ووحدة الكلمة
١٣٦	عدل الإنسان مع نفسه
١٣٩	ما هي افضل الاعمال ؟
١٤٣	ليلة النصف من شعبان
١٤٧	الايمان الحق ، ثمرة الجهاد
١٥٠	حقوق الجوار



ليس  
مؤلف هذه المسائل وأحاديثها بغريب  
على القراء ، وليس صوتُه ببعيدٍ على الأسماع  
فقط لما أرسل من منبر الإذاعة المصرية روايتُ  
الأبحاث والأحاديث الديرية والأوبرية ، وأوضح الحلول  
لمشكلات المجتمع على أساس سليم من الدين والعقل .  
ولقد كان صوتُه يُدوي كل صباح ومساء ،  
ونبراته في الأداة تأخذ بمجامع القلوب وتمهز الأحاسيس ،  
وتحدث تجاوزاً بعيد المدى في أنحاء العالم الإسلامي ،  
حتى لقد كبر صنع المؤلف وإنتاجه المثر ، أشياخُ  
العلماء ، وكبار المفكرين - لهذا - رأينا أن نخرج  
هذا الانتاج من التراث الإسلامي ، في سلسلات  
وحلقات تيسيراً وحرصاً على تمم النفع ، وعرضاً  
سليماً للشقافة الإسلامية ، التي تهفو إليها نفوسُ  
المسلمين .





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036759112

